مكتبتنا العربية

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
٤٠٠ مليم في وادي النيل
٥٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ لطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الثاني ـ القاهرة في غرة صفر ١٣٧٦ ـ ٦ سبتمبر ١٩٥٦ ـ المجلد الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

أخلاق جديدة .. لحياة جديدة

لما غضب الشرق العربي كله لغضبة جمال عبد الناصر ، في الساعة التي انعقد فيها مؤتمر لندن للتآمر على حق مصر في تأميم شركة القنال ، جلست صحفية ألمانية مسنة في فندق من فنادق بيروت تسأل صحفيا عربيا عن السر ـ أو السحر ـ في هذه الحيوية العجيبة التي جعلت مائة مليون عربي يشعرون بشعور مصر ، ويردّدون بصوت واحد كلمة جمال عبد الناصر في قضية القنال . فتحول الوطن العربي الأكبر كله إلى معسكر للمجاهدين ، من خليج العرب في الساحل الشرقي لجزيرتهم ، حتى ساحل طنجة والعرائش ورباط الفتح والدار البيضاء والصويرة على المحيط الأطلسي في أقصى الغرب .

إن هذه الصحفية الألمانية المسنة تعجب لهذه الحيوية العربية ، وهذا التجاوب العام الشامل ، وتسأل : ما هو السر ـ أو السحر ـ فيما تراه رأى العين في مختلف أوطان العروبة ، وكيف تم كل هذا ؟ !

وقد أجابها الصحفي العربي بأن الناطقين بالضاد وجدوا النسخة الواضحة السهلة من الرجل العربي بأحلامه وآماله وهواه .. وجدوا الرجل الصريح الذي لا يخادع ،

مكتبتنا العربية

والذى يعتز برجوليته واستقامته . . وجدوا الرجل الذى يمثل الجرأة والشجاعة ، والذى يعرف معنى الشرف والأمانة ، والذى لا يصبر على الإهانة والذل . فتجاوبت طباعه مع طباعهم ، ونفسيته مع نفسيتهم . . إنهم رأوا فيه أنفسهم ، رأوا فيه كيانهم بألغازه وأسراره ، فتجاوبوا لحاضرهم ولمستقبلهم المنتظر .

وقبل نحو مائة وخمسين سنة جلس نابليون بونابرت يفكر فى أن كرسى القيادة فى الشرق العربى ما برح شاغرا ، فقال يومئذ : « الشرق كله فى انتظار رجل يتولاه ، ولو استتب لى أن أحالف الممالیك لكنت الآن سلطان المشرق » .

وقد أخطأ بونابرت فى اختيار حليفه الذى كان يستتب له بحالفته أن يكون سلطان المشرق ، ولو انتبه إلى أن سلطان المشرق إنما كان يستتب له بشىء واحد وهو صفات القائد التى ذكرها ذلك الصحفى العربى لزميلته الألمانية فى بيروت يوم الاحتجاج العربى الأكبر على مؤتمر لندن ، لكان ذلك مفتاح السر ، وطلسم السحر ، الذى كانت تتساءل عنه الصحفية الألمانية ، والذى كان نابليون يحلم به قبل ذلك بمائة وخمسين سنة .

بالأخلاق وحد الله كلمتنا ، وبالأخلاق اجتمعت على الحق قلوبنا ، وبالأخلاق تغيرت دنيا العروبة من حال إلى حال .

ولكن . . على قدر أهل العزم تأتى العزائم ، وعلى قدر اتساع نطاق الأخلاق يتسع نطاق أثرها ويبقى وينتظم .

يجب أن تتجاوب الأخلاق بين القيادة والجماهير ، ويجب علينا جميعا أن نتسلح بالأخلاق ونحن نمد أيدينا إلى البنادق والمدافع والرشاشات لنتعلم صناعة الموت فى سبيل الحياة .

إن الأخلاق فى لغتنا القومية وتقاليدنا العربية هى قوام أرواحنا ، وبها كمال إنسانيتنا ، وهى معيار رجوليتنا فى الرجال ، وجمال أنوثتنا فى النساء .

تتألف القومية العربية من المرء والمرأة ، ولا يكون المرء امرءا فى سجل العروبة ، ولا المرأة امرأة ، إلا بالمروءة . ويقول الإمام العدوى العمرى رضى الدين الحسن ابن محمد الصغانى (٥٧٧ — ٦٥٠) فى معجمه (العباب) : المروءة الإنسانية وكمال

مكتبتنا العربية

الرجولية . ومن قبل الصغانى بستة قرون كتب جده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى عامله على البلاد المتاخمة لإيران : « خذ الناس بالعربية ، فانه يزيد فى العقل ، ويثبت المروءة » . فعربيتنا وعروبتنا وكياننا القومى وكون الرجل منا امرءا والمرأة امرأة إنما هو بالمروءة ، والمروءة الأخلاق ، وهى الإنسانية ؛ فالرجوع إليها بالجلاء عن غيرها هو الجلاء ، والتحلى بها هو التجديد ، وتوطين النفوس على ذلك هو الذى يبعث فينا الأخلاق الجديدة الملائمة لما ننشده فى حياتنا الجديدة .

وأصدق ما ذكرت به المروءة قول قائدنا الأول معلم الناس الخير (صلوات الله وسلامه عليه) فى إحدى جوامع هدايته : « إن الله يحب معالى الأمور وأشرافها ، ويكره سفسافها » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته » .

وسأل معاوية عبد الله بن عمر (رضى الله عنهم) : ما المروءة؟ فقال : « تقوى الله ، وصلة الرحم » . ثم سأل المغيرة بن شعبة : ما المروءة ؟ فقال : « العفة عما حرم الله ، والحرفة فيما أحل الله » . ثم سأل ابنه يزيد : ما المروءة ؟ فقال : « الصبر على البلوى ، والشكر على النعمى ، والعفو عند المقدرة » . فقال له أبوه : أنت منى حقا ، وما نكب المغيرة عن القصد .

وسئل القائد الحكيم الحليم الأحنف بن قيس : ما المروءة ! فقال : « مواساة الإخوان ، وصدق اللسان ، وذكر الله فى كل مكان » . ومعنى ذكر الله فى كل مكان أن يكون المرء دائبا على ذكر ربه فى كل ما يتصرف فيه من قول وعمل ، فيتصرف فى ذلك بما يعلم أنه يرضى الله ويوافق هدايته على لسان رسوله فى إقامة الحق ، وإشاعة الخير ، وإسعاد الإنسانية بالأسرة الصالحة والمجتمع السليم والدولة المثالية .

والمروءة فى المجتمع السليم لا تنحصر فى أهل الثقافة والحكمة والعلم ، بل تشمل عناصر المجتمع كله ، ولا سيما أهل الثروة والسعة ممن يساهمون فى إقامة مرافق الأمة وترميم خللها . قال الأحنف :

فلو مد سروى بمال كثير ... لجدت به وكنت له باذلا
فان المروءة لا تستطا ... ع إذا لم يكن مالها فاضلا

مكتبتنا العربية

وقال المذلى :

وإن سيادة الأقوام فاعلم لها صعداء مطلبها طويل
أترجو أن تسود بلا عناء وكيف يسود ذو الدعة البخيل

وسأل رجل محمد بن عمير بن عطارد وعتاب بن ورقاء فى عشر ديات ، فقال محمد بن عمير : على دية . وقال عتاب بن ورقاء : على الباقى . فقال محمد بن عمير : « نعم العون اليسار على المروءة » .

وفى شرح الشفاء للخفاجى : المروءة تعاطى المرء مايستحسن ، وتجنب ما يسترذل .

وقيل : المروءة صيانة النفس عن الأدناس ، وما يشين عند الناس . ونعتوها بأنها السمت الحسن ، وحفظ اللسان ، وتجنب المجون .

وسئل أحد الأعلام عن المروءة فقال : أن لا تفعل فى السر أمرا وأنت تستحيي أن تفعله جهرا .

وفى المصباح : المروءة آداب نفسانية ، تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق و جميل العادات . والمصباح كما أنه معجم لغة ، فهو لسان من ألسنة الفقه فى الإسلام ، ولا سيما فقه الإمام محمد بن إدريس الشافعى المطلبى رحمه الله .

وأجمل ما يتجمل به العربى من المروءة وهو فى مقتبل العمر ، وفى ذلك يقول الأحنف سيد بنى تميم : « السؤدد مع السواد » . وقال الشاعر :

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد

ولما كانت المرأة فى دنيا العروبة هى أنثى المرء فهى شريكته فى المروءة . بل رأيناهم إذا ذكروها بخلق ممتاز من أخلاق المروءة رفعوها إلى مرتبة المرء فسموها امرءا من غير تاء التأنيث ، حكى ابن الأعرابى أنه يقال للمرأة : إنها لامرؤ صدق . وقالت امرأة من العرب : أنا امرؤ لا أخبر الستر . ففى هذين الموضعين تجردت المرأة من تاء التأنيث لما تحلت بمروءة الرجال من أمانة وصدق . وفى حديث على لما تزوج فاطمة رضوان الله عليهما ، قال له يهودى أراد على أن يبتاع منه ثيابا : لقد تزوجت امرأة . يريد امرأة كاملة ، كما يقال رجل ، أى كامل فى الرجال .

وكنت فى سبيل أن أمضى بالقلم فى حديثى مع القراء عن الأخلاق الجديدة لحياتنا الجديدة ، لو لا أنى تذكرت كلمة نفيسة فى الأخلاق لصديق القديم أديب العربية الأكبر

مكتبتنا العربية

السيد مصطفى صادق الرافعى رحمه الله ، فرأيت من اللائق أن أختم بها هـذا الفصل ، وجدير بشبابنا أن يعيدوا تلاوتها المرة بعد المرة ، متدبرين ما ترمى إليه ، قال :

« الأخلاق فى رأيى هى الطريقة لتنظيم الشخصية الفردة على مقتضى الواجبات العامة ، فالإصلاح فيها إنما يكون من هـذه الواجبات ، أى من ناحية المجتمع والقائمين على حكمه .

وعندى أن للشعب ظاهرا و باطنا ، فباطنه الدين الذى يحكم الفرد ، وظاهره القانون الذى يحكم الجميع . ولن يصلح الباطن المتصل بالغيب إلا بذلك الحكم الدينى المتصل بالغيب مثله .

ومن هنا تتبين مواضع الاختلال فى المدنيـة الغربية ، فهى فى ظاهر الشعب دون باطنه ، والفرد فاسد بهـا فى ذات نفسه إذا هو تحلل من الدين ، ولكنه مع ذلك منتظم فى ظاهره الاجتماعى بالقوانين ، و بالآداب العامة التى تفرضها القوانين ، فلا يبرح هازئا ساخرا من الأخلاق لأنها غير ثابتة فيه ، بل هى ضارة مع المضرة ، نافعة مع المنفعة ! ولا ينفك يتحول لأنه مطلق فى باطنه ، غير مقيد إلا بأهوائه ونزعاته . وبهـذا وذاك لن تقوم القوانين فى الغرب إذا فنى المؤمنون فيه أو كاثرهم الملحدون . وهم اليوم يبصرون بأعينهم ما فعلت عقلية الحرب العظمى [١] فى طوائف منهم قد خربت أنفسهم من إيمانها فتحولوا بها ، فاذا أعصابهم بعد الحرب ماتزال محاربة مقاتلة ترمى فى كل شىء بروح الدم ، والأشلاء ، والقبور ، والتعفن ، والبلى ...

وقديمـا حارب المسلمون وفتحوا العالم ، ودوخوا الأمم ، فأثبتوا فى كل مكان هدى دينهم ، وقوة أخلاقهم ، وكان من وراء أنفسهم فى الحرب ماهو من ورائها فى السلم ، لثبات باطنهم الذى لا يتحول : فلا تجىء حروبهم إلا فى حـدود . ولو كانوا هم أهل هذه الحروب الأخيرة ـ بكل ماقذفت به ـ لبقيت لهم العقلية المؤمنة القوية ، لأن كل مسلم فانمـا هو وعقليته فى سلطان باطنه الثابت القار على حدود بينة محصلة مقسومة ، تحوطها وتمسكها أعمال الإيمـان التى أحكمها الإسلام أشد إحكام ، بفرضها مكررة مرات فى كل يوم ، ليمنع بها تغيرا ، ويحدث بها تغيرا آخر ، ويجعلها كالحارسة للارادة : ماتزال تمر بها وتتعهدها بين ساعة وساعة .

---

(١) يريد الحرب العالمية الأولى ، فكيف لو شاهد ـ رحمه الله ـ عواقب الحرب العالمية الثانية !

مكتبتنا العربية

إنما الظاهر والباطن كالموج والساحل ، فاذا جن الموج فلن يضيره مابقى الساحل رکينا هادئا مشدودا بأعضاده فى طبقات الأرض . أما إذا ماج الساحل . . . فذلك أسلوب آخر غير أسلوب البحار والأعاصير . ولا جرم أن لا يكون إلا خسف بالأرض والماء وما يتصل بهما » .

و بعد فبهذا التفسير الحكيم للتاريخ فى الشرق الإسلامى والغرب الافرنجى يستطيع دارس التاريخ أن يفسر موقف العرب من فتحهم الأندلس ، مقارنا بموقف خصومهم منهم يوم زال سلطانهم عنها . و به يستطيع أن يفسر تاريخ دخول الصليبيين بيت المقدس مقارنا بتاريخ خروجهم منها بعد يوم حطين . و به يستطيع أن يقارن بين موقف دولة الروم من المصريين عند الفتح الإسلامى وقبله وموقف المسلمين من ذلك ، وقد ألمعت اليه فى مواضع متعددة من كتابى (مع الرعيل الأول) . بل به يستطيع أن يقارن بين الموقف الحكيم الذى يقفه ولاة أمور الدول العربية الآن فى استرداد حقوق شعوبهم ، وموقف قادة الغرب فى تعصبهم وجشعهم وتنكرهم للحق و إيثارهم الطرق الملتوية على صراط الله المستقيم .

الأمم كلها تختلف ، وتتدافع ، وتصطدم . وهى فى اختلافها وتدافعها واصطدامها كالموج يجن جنونه ويهيج ويتصادم . غير أن الأمم التى لها فى باطنها قوة من هداية السماء تجعل ساحلها مشدودا بأعضاده فى طبقات الأرض ، لا يضيرها اضطراب الموج وهيجه واصطدام لجه بعضها ببعض ، ولذلك نراها فى تاريخها من الماضى الى الحاضر لا تكون إلا فى حدود ، وتبقى لقادتها عقليتهم المؤمنة فى سلطان باطنهم الثابت القار تحوطهم وتمسك بهم أعمال الإيمان التى أحكمها الإسلام وجعلها كالحارسة للارادة . فهم أبدا نبلاء فى ائتلافهم واختلافهم مع غيرهم ، كما شاهد التاريخ ذلك من سعد فى القادسية ومن أبى عبيدة وخالد فى الشام ومن عمرو فى مصر ومن صلاح الدين فى بيت المقدس ، وها نحن أولاء نشاهد ذلك مع الناس فى حادث الاختلاف بين الحق والباطل على قضية تأميم شركة القنال ، وفى حادث البريمى ، وفى محميات اليمن ، وفى الجزائر ، وفى كل مكان : نجدد نحن تاريخ المروءة والنبل الذى نتوارثه من أيام سعد وأبى عبيدة وخالد وعمرو وصلاح الدين ، بينما خصومنا فى الغرب يموج ساحلهم بهم اذا ماج اللج ، لأنهم ليس لهم فى باطنهم تلك القوة التى وصفها الرافعى ببيانه البليغ . لذلك تخاذلت تصرفات قادة الغرب فى هذه القضية وأمثالها من القضايا القائمة الآن بيننا وبين الاستعمار وهو يتداعى الى السقوط ، فرأى الناس منهم ومنا ما يتساءلون عن سره وعن سحره ، وسر ذلك وسحره أخلاق نتلقاها عن تراثنا فى التاريخ دبت حياتها فى نفر منا فانفجرت كالقنبلة الذرية فى دنيا الاستعمار ، وإذا آمنت العروبة كلها بهذه الأخلاق ، وعملت بها ، وسرى هذا الخير إلى العالم الإسلامى كله ، فسيكون له ما بعده إن شاء الله ، وليعلمن نبأه بعد حين .

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٤٢ —

العمل للدنيا عبادة

يتهددنا الله على تركها

« ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا » .

١ — منطق هذه الآية واضح فى التهديد لمن يأبون الإيمان ، أو يخالفون دعوة الله إلى عبادته .

ولكن : هل التهديد قاصر على المتخلفين عن الجانب الروحى : من عقيدة وعبادة ؟ .

حينما نتلوها أو نتلو نحوها من إنذارات القرآن يسبق إلى الذهن أن هدف الإسلام هو التوجيه إلى مراسم العبادة : دون التفات إلى جانب الدنيا أو عناية بالترغيب فيها .

بل يتساق إلى بعض الأفهام أن الإسلام يحارب الدنيا ، ويذود الناس إطلاقا عن التطلع إليها .

وقديما نظر أناس إلى الدنيا هذه النظرة الزارية ، وملأوا علينا الآفاق وبطون الكتب تحقيرا لدنيانا ، وتزهيدا فيها ، حتى قدحوا فى خيال الناس أن مظاهر الفاقة واصطناع التقشف من صميم الدين وتمام العبادة .

ولعل عذر هؤلاء المتزهدين فى الدنيا أن القرآن ينتقصها فى كثير من آياته ، فهو يصف

مكتبتنا العربية

الحياة فيها بأنها لهو ولعب ، وبأنها زينة وتفاخر ، وبأنها متاع الغرور . . وهكذا مما ينزل بشأنها ، ويبعدها عن منزلة الاعتبار .

وبسبب ذلك خاصموها ، وأفرطوا فى الطعن عليها فى غير هوادة ولا إشفاق .

٢ — والحق الذى يشهد به القرآن نفسه أن الدنيا عند الله أسمى مما زعموا ، وأعز شأنا مما قالوا ، وأن الله لا يرضى لعباده أن يحتقروها ، أو يتخلفوا عن النشاط فيها ، أو يتريثوا فى الابتكار والتجديد والكشف عما أودع الله فيها من أسرار وعجائب ، حتى يصلوا فى تعميرها إلى غاية الشوط الذى يستطيعونه .

٣ — فهذا كتاب الله يمتدحها فى كثير من آيات أخرى ، ويمتن علينا بما حشد فيها من خيرات ، وبما نسق فيها من جبال وبحار وأنهار ، وبما أبدع فيها من جنات ونخيل وأعناب ، وبما أودع فيها من نعم لا نحصيها إذا عددناها .

فهو يقول : « والأرض وضعها للأنام ، فيها فاكهة ، والنخل ذات الأكمام ، والحب ذو العصف والريحان » وهو يذكر ما فى البحار والأنهار من لؤلؤ ومرجان ، ويذكر غير هذا فى كثير من سياقه ، ثم يمتن بهذا كله على الإنس والجن فيقول سبحانه : « فبأى آلاء ربكما تكذبان . . ؟ » .

والقرآن يستنهضنا كثيرا إلى التمتع بما خلق الله لنا فيها ، وإلى شكر الله على ما أنعم علينا .

٤ — فهو بذلك يعتبر الدنيا ذات شأن ، وليست هينة فى حساب الدين .

غير أنه يحذرنا من فتنتها ، والانقطاع لها ، واتخاذها ملهاة عن حياة أخرى هى أكثر متاعا ، وأرقى شأنا ، وأبقى زمانا .

وواضح أن التحذير من خلابة الدنيا ينطوى على الإشادة بما فيها من متع الحياة ، وينطوى على أنها فاتنة تغرى المرء بمباهجها ، وتنسيه ما وراء الحياة من نعيم خالد .

٥ — وقد علمنا فى آياته أن كل ما فى الأرض بل ما فى الدنيا مخلوق لمنفعة الإنسان ومتاعه ، على أن ينتفع بمتعها ، ثم يؤدى لله واجب الشكر عليها بأقواله وبأعماله ، على نحو ما رسم لنا فى تشريعه .

مكتبتنا العربية

٦ — فاذا كان مفهوما لنا من صدر الآية أن المستنكفين عن عبادته لزهادتهم فى الانتفاع بها ، والمستكبرين عنها شموخا بأنفسهم : ممن كفروا بالله أو بما جاء من عنده ، مهددون بعذابه الأليم بسبب استنكافهم واستكبارهم .

أو كان مفهوما لنا كذلك أن المتخلفين كسلا عما فرض الله من تكاليف ، وأن دعاة الفتنة المحاربين لما دعا الإسلام إليه من أخلاق ، والداعين إلى مهازل الحياة ، أو نحو هؤلاء جميعا ، مهددون بالعذاب الأليم فى اليوم الآخر .

فليكن مفهوما لنا حتما أن المنصرفين عن تقدير ما فى الدنيا من آلاء الله ، والمتخلفين عن العمل فى هذا الكون والإنتاج فى الحياة مع قدرتهم على ذلك ، يعتبرون تاركين لجانب من العبادة التى ينشدها القرآن ، ويتطلع إليها الإسلام ، وأنهم فى موقف التهديد أشبه بالمستنكفين والمستكبرين .

٧ — وليس صحيحا أن الدنيا كما فهمها من لم يلتفتوا إلى امتداح القرآن لها ، ولم يفطنوا إلى عناية الله بالجد فيها ، وغاب عنهم تشجيع النبى — صلوات الله عليه وسلم — على المثابرة فى تعميرها يوم اشترك مع قوم فى تأبير نخلهم ، وحين قال : إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، وحين حث على التجارة والزراعة ، وحين حرضهم على الاحتطاب فى رأس الجبل إذا لم تكن لهم تجارة أو زراعة أو نحوهما ، وحين شجع على اقتناء الثروة ليترك الموء ورثته أغنياء مخافة أن يتركهم عالة يتكففون الناس ، ونحو هذا مما هو بين دفتى المصحف أو فى كتب السنة .

٨ — وغير خاف أن الدنيا إذا توفرت لشخص واعتصم بالله فى تدبيرها ، وراقبه فى التمتع بها ، كان أقدر على الوفاء بحقوق دينه ، وبحقوق مجتمعه ، وكان أقدر كذلك على خدمات إنسانية فوق ما يناط به .

ومن هنا يتأكد لنا أن الدين كما يقوم على العقيدة ويتمثل فى العبادة ، يقوم كذلك على المال ، ويتمثل فى الإنتاج وفى العمل الصالح للجماعة .

إذ الإسلام بطبيعته وفى جوهره دين عزة ، ومنهج كرامة ، وشرعة للحياة الأبية . . ولا يتاح له أن يكون كذلك على أكمل الوجوه إلا فى البيئة الخصبة ، والوسط الرحب ، والعيش الرخى ، وفى ظل السيادة والعدالة والنهوض المتوثب : لا مع الفاقة ، ومذلة الحاجة ، وتحكم المسغبة فى البطون الخاوية .

المكتبة العربية

وما من شك فى أن تشريع الله للهجرة من مكة إلى المدينة لم يكن خاليا من التوجيه إلى ذلك .

فان المدينة كانت ولا تزال أرفه عيشا من مكة ، وأكثر خصبا ، وأروح بالا ، وكان لهذه المميزات أثرها فى استقرار الإسلام فى المدينة ، واستقراره بعد ذلك فيما سواها ، ولا يزال لهذه المميزات أثرها الحتمى فى مرونة الذهن ، وسماحة الطبع ، ورقة الخلق ، وهذا ما يلمسه كل من أتيح له ملاقاة أهل مكة وأهل المدينة حتى اليوم ، وكل من لا بس الحياة الناعمة والحياة الجافة .

كما أن تشريع الإسلام للزكاة ، وحضه على الإحسان والعطاء ، لم يقف عند غرس المودة والتعاطف بين المعطى والآخذ ، بل قصد كذلك الترفيه عن الأنفس المكدودة ، وصيانة ما استقر فيها من روحانية الإيمان والتدين ، والحفاظ عليها من مساورة البؤس ، والانصراف إلى المادية البحتة ، وإلى الكد والتحصيل لما يقيم الأود تحت تأثير الضنك والعوز .

وأنت ترى من ذلك أن الإسلام لا يعاف الدنيا ، ولا يضعها فى المكان الهين ، بل يعتمدها مرقاة إلى أهدافه العالية .

٩ — فلو أن رجلا بنى مسجدا واعتبرنا عمله هذا عبادة محمودة : فكذلك الشأن فى رجل بنى قنطرة للعبور عليها ، أو أقام سوقا تتيح للناس أن يتبادلوا فيها منافعهم ، أو بنى مصنعا يتعلم فيه الناس مهنة يرتزقون منها ، أو نحو هذا مما نراه عملا دنيويا .

فكل ذلك انفاق فى سبيل الله ، وكل ذلك تيسير على الناس ، وكله من مقاصد الإسلام .

والمتخلفون عن هذه المؤسسات — مع قدرتهم ومع الحاجة إليها — متخلفون عن جانب من العبادة ، وهم فى عداد المستنكفين أو المستكبرين وإن تفاوت الإثم ومقدار الجزاء .

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

١٠ — ومما يرشد إلى هذا فى الآية : أن الله سبحانه وتعالى عمم فى التهديد وقال : « فسيحشرهم إليه جميعا » ثم فصل هذا التعميم ، فقال : « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا » .

فانظر : تجد ثواب الله لذوى الأعمال الصالحات فوق ما يستحقون ، فهو يزيدهم

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

ولم تكن تلك الهجرة الشريفة منه صلى الله عليه وسلم خوفا على نفسه أن يموت أو يلحقه ضر مدمر ، فقد لقى من أذى الكفار ما لا تتحمله الجبال الراسيات ، ومع ذلك كان دائم الظهور بينهم ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وهو فريد ليس معه أحد .

وقد قال أصحابه رضى الله عنهم : إنه كان دائما فى الحروب أقربنا إلى العدو ، وكنا أحيانا نتقى به العدو .

وقد وقف صلوات الله عليه فى غزوة أحد لما تفرق عنه أصحابه ينادى بأعلى صوته ويقول : « إلىّ عباد الله ، أنا رسول الله » ولم يدع مكانه ولم يتحلحل عنه . فهل مثل هذا يخاف الموت أو يخشى الهلاك ؟ كلا . . . ولكن الذى كان يشغل باله إبلاغه رسالة ربه ، فقد كان يخشى ألا يبلغها وفيها الهدى والسعادة ، فهاجر ليبلغها ويهدى الناس إليها ، وماذا على ذى المبدأ الحق الواثق بمبدئه المقتنع بثوابه وثمرته ، إذا تحول عن أناس لم يقبلوه إلى آخرين وثق أن يقبلوه ويعتنقوه ؟ وهل من عيب على قائد متوثب يحارب فى ميدان فلم يذعن العدو له فتحرف للقتال وانتقل إلى ميدان آخر علم أنه سينتصر فيه ثم يعود إلى الميدان الأول فيستولى عليه جميعه .

أشهد انها السياسة الحازمة والبصيرة النافذة والتفكير الصائب الثاقب ، شأنه صلى الله عليه وسلم فى كل أحواله . أو لم تنظر كيف كانت سياسته فى دعوته عشيرته إلى الإسلام لما أنزل عليه ربه : (وأنذر عشيرتك الأقربين) فقد صعد الصفا ونادى : يابنى فهر ، يابنى عدى . . لبطون من قريش ، حتى اجتمعوا ـ وفيهم ابو لهب ـ فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم ، ماجربنا عليك كذبا . وفى رواية : ما جربنا عليك إلا صدقا . قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبالك ، ألهذا دعوتنا ؟ فانظر كيف استل منهم اعترافهم بأنه المعروف بينهم بالصدق طول حياته ولم يجرب عليه كذب قط ، حتى إذا ردوا عليه بعد ذلك دعوته كانوا عند العقلاء أشبه شىء بالمجانين ، ولذلك قال قيصر عظيم الروم : « لم يكن (أى النبى صلى الله عليه وسلم) ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله » .

انظر إلى حكمته صلى الله عليه وسلم وسداد رأيه لما أراد أن يهاجر إلى المدينة المنورة ، فانه صلى الله عليه وسلم لم يشأ أن يهاجر إليها من غير سابقة معرفة ببعض أهلها ، فانهم كانوا كفارا ، ولو نزل عليهم ودعاهم إلى الله وترك دينهم فربما كان موقفهم معه كموقف

مكتبتنا العربية

كفار مكة : ردوا استهزاء وعداوة وأذى مستطيرا، فساس الأمور بحكمته وحسن تدبيره ، وعمل على أن يقابل بعض عظمائهم (الأوس والخزرج) فى موسم الحج فى كتمان وخفية من قومه ، ليقنعهم بما يريده منهم ، وهو أن يمنعوه من القتل حتى يبلغ رسالات ربه ، فاستجابوا له عليه الصلاة والسلام وعاهدوه أن يمنعوه مما يمنعون منه أولادهم ونساءهم حتى يبلغ رسالات ربه . ثم انظر إلى شجاعته الفذة وبطولته العظيمة ليلة تنفيذ هجرته الشريفة ، فقد كان كفار قريش اجتمعوا فى دار ندوتهم يتشاورون فيما يصنعون فى أمره عليه الصلاة والسلام، ثم اتفقوا على مارآه أبو جهل ـ لعنه الله ـ حيث قال : أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى جلدا نسيبا وسيطا ، ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه فى القبائل ، فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فنعقله لهم (أى ندفع لهم ديته) فقالوا : لا رأى غير هذا ، وأسرعوا ينفذونه ، فاجتمع شبانهم بليل أمام بيته صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينام ليثبوا عليه ، ولكنه صلوات الله عليه أمر عليا أن ينام مكانه وخرج عليهم وفى أيديهم السيوف الصارمة وفى قلوبهم نار العداوة المتقدة، وهو أعزل إلا من ثقة بالله وقلب شجاع قوى بالإيمان ونفس مطمئنة راضية بما يلقاه فى سبيل تبليغ رسالة ربه ، فمر من بين صفوفهم ، وحثا التراب على رءوسهم ، وذهب إلى حيث يريد الله ، وقد كان يمكنه صلى الله عليه وسلم أن يبيت على فراشه لا يبالى بجمعهم (فكل جمع مؤنث) ولكن كيف كانت تظهر تلك البطولة التى فاقت كل بطولة ، وكيف كان يغيظ الكفار بوضع التراب على رءوسهم ؟!.

قصد هو وصاحبه أبو بكر إلى غار ثور يستخفيان حتى يخف عنهما الطلب ، وهنا نذكر للصديق ـ رضى الله عنه ـ وفاءه للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقد كان أثناء الطريق يمشى أمام النبى مرة ومرة خلفه وأخرى عن يمينه أو شماله ، فخاطبه فى ذلك فقال : يا رسول الله ، أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك أو عن يمينك أو عن يسارك . ولما وصلا الغار قال أبو بكر : والذى بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخله قبلك ، فان كان فيه شىء نزل بى قبلك . وبينما هما فى الغار إذ القائف الذى يقص الأثر يدل الأعداء على الغار ، فوقفوا أمامه مشدوهين يفكرون : أين ذهب ؟ وما إن أحس بهم أبو بكر أمام الغار حتى هلع وجزع وارتعد واضطرب وحزن حزنا كبيرا إشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ كان يعتقد أنهم إن ظفروا به عليه الصلاة والسلام لابد قاتلوه فلا يبلغ رسالة ربه .

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

دعائم المجتمع الاسلامى

الاســـــتقامة

الدين هو العقيـدة التى يؤمن الإنسان بها ، ويسلم نفسـه إليها . وأول شرط لصحة هذه العقيدة ، وصدق تحققها فى نفس صاحبها وحياته ، هو الخضوع لها ، والعمل بها ، والحرص على تحقيقها . . . وحين نستعرض كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، نراهما قـد عنيا عناية كبرى بالدعوة إلى الاعتقاد ، والعمل بمقتضى هذا الاعتقاد .

وإنما يكمل الإيمان عند الإنسان ، ويؤتى ثمراته ، إذا كان الخضوع لمبادئه عملا دائما موصولا ، وهذ الدوام فى العمل والصبر عليه مع الإتقان له ، هو ما يعرف بالاستقامة ، لأن استقامة الإنسان ـ كما يقول العرب ـ هى لزومه المنهج العادل ، والإقامة على الأمر الواضح مع الثبات فيـه ، وقوام الشىء هو عماده الذى لا يقوم إلا به ، وإقامـة الصلاة مداومة فعلها والمحافظة عليها ، ومن هنا لم يأمر الله بالصلاة فى القرآن إلا بلفظ « الإقامة » تنبيها على أن المقصود منهـا هو توفيـة شرائطها ، واستكمال حقوقها ، لا الإتيان بهيآتها الظاهرية . . .

* * *

والدارس للاسلام الحنيف يرى بوضوح أنه دين الاستقامة ، إذ هو دين الملة الغراء التى تدعو أبناءها إلى مبادئها السامية ، ثم تكلفهم النهوض بتبعات هذه المبادئ فى صور عملية واقعية موصولة ، لاتتوقف إلا لتعـذر أو تعسر ، والله يريد بعباده اليسر لا العسر ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها . . .

يقول الله عز وجل : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيـله ، ذلكم وصاكم به لعلـكم تتقون » . فهو سبحانه قـد رسم لعباده المنهاج

مكتبتنا العربية

الواضح القويم ، الذى لاعوج فيه ولا انحراف ، وأقام الشواهد على صحته وصدقه ، ودعاهم إلى النظر فيه للايمان به عن يقين واقتناع ، فاذا آمنوا به وجب عليهم الخضوع له والعمل به ، وإلا حق عليهم العذاب ، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال ، وليس امام تارك النور إلا الظلمات . .

ويدعو الله رسوله والذين آمنوا معه إلى هذه الاستقامة فيقول : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ، ولا تطغوا ، إنه بما تعملون بصير » . أى الزم الطريق المستقيم الذى لا عوج فيه ولا اعتساف ... الزمة بالثبات عليه واتقاء الاختلاف فيه أو التقاعس عنه ، وليستقم معك كل من تاب من الشرك وآمن بالله وحده ، ولا تطغوا بتجاوز حدود الله ، ولو كان التجاوز بالغلو فى الدين ، لأن الإفراط فيه كالتفريط ، كل منهما زيغ عن الصراط المستقيم .

ولذلك جعل الله من دعاء عباده الذين يناجون به ربهم كل يوم عدة مرات قوله : « اهدنا الصراط المستقيم » ... ومدح بهذه الاستقامة نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، فخاطبه قائلا : « إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم » ... وكرر الدعوة إلى هذه الاستقامة والأمر بها فقال : « فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواهم » . وقال : « وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين » . وقال : « فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم » .

* * *

وقد وعد الله عباده على هذه الاستقامة الأمان والاطمئنان ، والثواب وحسن الجزاء : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » . « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ماتدعون ، نزلا من غفور رحيم » .

كما توعد الله الذين يخرجون على هذه الاستقامة وهددهم بالعذاب والانتقام : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نار خالدا فيها وله عذاب مهين » . ويقول : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

مكتبتنا العربية

وعن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما ، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وشماله ، ثم قال : وهـذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليـه ، ثم قرأ : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

فـكأن صراط الإســلام هو الخط المستقيم ، والخط المستقيم هو أعدل الخطوط وأقربها فى التبليغ إلى الغاية ، وليس من شأن هذا المنهاج العادل أن يكلف صاحبه شططا أو إسرافا أو إرهاقا للنفس ، بل يدعوه إلى أداء واجبـه فى توسط واستمرار ، ومن هنا جاء الحديث النبوى : « أحب الأعمـال إلى الله أدومها و إن قل » . وقريب من معنى هذا قوله صلى الله عليه وسـلم : « خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ، ولا دنياه لآخرته ، ولم يكن كلا على الناس » .

و يقول شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله المغــربى الأصفهانى فى كتابه « أطباق الذهب » هذه العبارة :

« أيها الراكب صهوة الرياضة ، ارفق بنفسك فى هــذه المخاضة ، ولا تسرع إسراع الحمق ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، فامش على هينتك ولا تخب حبا ، ومص الماء ولا تعبه عبا ، فلا خير فى تبريح الجمل الطليح [١] ، ولا بر فى إيجاف الخيل العجاف [٢] ولا سبق فى فياف القدر ، ولا رمل فى طواف الصدر [٣] ، وإذا كدتك العبادة فذرها ، وإذا أدتك إلى الملالة فاحذرها ، فلا مثوبة فى صلاة اللاغب [٤] ، ولا راحة فى صيام الساغب [٥] واعلم أن النوم خير للهاجد الجاهد إذا مل ، وخير الأمور أدومها وإن قل ، لا اضطجاع يورث الكسل ، ولا اجتهاد يعقب الملل ، فاعـدل عن الإفراط والتفريط

(١) تبريح : إتعاب . والطليح : المهزول .
(٢) الإيجاف : السير السريع . والعجاف : المهازيل .
(٣) الرمل : المشى السريع . والصدر : الرجوع من الحج .
(٤) اللاغب : المتعب .
(٥) الساغب : الجائع .

مكتبتنا العربية

إلى النهج الوسيط، وصل بالقلب النشيط، والجأش الربيط [١]، فاذا تعبت فاقعد، وإذا لغبت فارقد، فما خلق الإنسان أجيرا ولا عسيفا [٢] « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا » [٣].

والمهم هو أن يدوم الإيمان، وأن يستمر العمل بمقتضاه، وأن يعتدل المرء على الصراط، وأن لا يحيد عن المنهج، حتى يلقى ربه وهو على ذلك. يقول عز وجل: « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ».

وفى حديث حكيم بن حزام: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أخر إلا قائما، أى لا أموت إلا ثابتا على الإسلام والتمسك به ... وكان من دعاء الرسول قوله: « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ».

* * *

وكم من أناس نراهم فى بعض الأحيان يندفعون إلى العمل لمبدأ أو عقيدة، حتى يخيل إلينا أنهم قد أصبحوا خير الجنود لهذه العقيدة، ولكننا - بعد قليل - نرى جذوة الحماسة عندهم قد خمدت، ودرجة العمل قد انخفضت أو انعدمت، وذلك من الاسراف وانعدام روح الاستقامة...

جاء سفيان بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله: يارسول الله، قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك.. فأجابه الرسول: قل آمنت بالله، ثم استقم!.

وهذه العبارة النبوية الوجيزة البليغة هى شعار المسلم الكامل، لأنها تستلزم تصحيحا للعقيده، وتدعيما للايمان، وتقويما للنفس، وتمسكا بالحق، واستقامة على الصراط، وثباتا فى العمل، بلا انحراف أو اعتساف..

فيأيها المسلم.. قل آمنت بالله، ثم استقم!..

احمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

---

(١) الجأش الربيط: النفس القوية.

(٢) العسيف: العبد المستعان به.

(٨) انظر ص ٧٩.

مكتبتنا العربية

الشجاعة عماد الفضائل

ترتكز الحياة الطيبة السعيدة للفرد وللمجتمع وللشعوب على مجموعة من الفضائل تختلف آثارها ، وتتفاوت حاجة الناس إليها ، فتكون حاجتهم فى بعض البيئات وفى بعض الأزمنة إلى فضيلة أقوى من حاجتهم إلى أخرى ، غير أن الذى يكاد يكون أمرا عاما أن أولى هذه الفضائل بالاعتبار هى الشجاعة ، ولست أقصد الشجاعة فى الحرب فحسب ، بل إنما أقصد الشجاعة بمعناها الأعم ، وهى ما يعبر عنه بالصبر أو بقوة النفس ، وقديما قال الحكماء : أصل الخير كله فى ثبات القلب . وإذا علمنا أن أضر عاطفة على الفرد هى عاطفة الخوف ، أدركنا مدى حاجتنا إلى الشجاعة ، فان الفرد الخائف لا يستطيع أن يعمل عملا ذا بال . وكذلك المجتمع الخائف لا يمكن أن يحتل مكانا بين الشعوب ، ولن تتأتى مع الخوف حياة سعيدة .

الخوف من العدو ، والخوف من الدفاع عن الحق ، والخوف من الهزيمة فى المعركة ، كلها عوامل هدم فى كيان الشعوب ، فلا غرو أن يصبح كل شعب يريد حياة كريمة فى أشد الحاجة إلى ثبات القلوب وقوة النفوس ، حتى يجابه الحياة بقوة عارمة من أخلاق النفوس قبل أن يجابهها بعدة وعتاد من الآلات الصماء .

وعادة السيف أن يزهى بجوهره ... وليس يعمل إلا فى يدى بطل

ويوم كانت حياة الشعوب أشبه بحياة الوحوش فى الغابات كانت الشجاعة فى قوة القلب وصلابة السواعد ، ثم تطورت الحيوات ، وأصبح لكل عصر منهجه فى مواجهة الأعداء ، ولكن الشىء الذى لم يتغير — ولن يتغير — هو قوة القلب ، وثبات النفس ، وصرامة الخلق . ومن قول الحكيم العربى ضمرة بن ضمرة المشهور بالمعيدى : إن الرجال لا يكالون بالصيعان ، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، إن قاتل قاتل بجنان ، وإن نطق نطق ببيان ، ويشبهه قول المتنبى :

لسان الفتى نصف ، ونصف فؤ... فلم يبق إلا الصورة اللحم والدم

مكتبتنا العربية

وإن الرجل العادى ليأخذه العجب حين يسمع أن الرجل من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان كفاء عشرة من الأعداء، وفى ذلك يتحدث القرآن الكريم فيقول الله عز وجل فى سورة الأنفال « يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ، والله مع الصابرين » . يعجب الرجل العادى لأنه يجهل السر، والسر أمامه وبين يديه لو تأمله ، فأول ذلك الصبر ، وقد حرصت الآيات الكريمة على ذكره فى كل موضع ، فذكر فى هاتين الآيتين ثلاث مرات ، فالصبر ـ إذن ـ والصدق عند اللقاء ، وثبات القلب فى المعركة ، هو أول الأسرار فى أن يتغلب الواحد على العشرة . وثانى هذه الأسرار ، وهو بسبب متين من الأول ، أن الكفار قوم لا يفقهون ، يقاتلون على غير احتساب وطلب للثواب ، فيقل ثباتهم ، ويستحقون لجهلهم بالله خذلانه ، وشتان بين رجل يدافع عن حق ، ومناضل دون وطن أو دين ، ورجل لا يدرى لم سيق إلى القتال ، أو يعرف أنه يقاتل عن غير حق . ولقد قرأت منذ قريب أن جنود بعض الدول التى ركبت رأسها أخيرا تألبوا وصاحوا كيف نقدم أنفسنا فداء لقوم يحرصون على الربح من أسهم القتال ؟!

وليس من شك فى أن الذى يقاتل وهو مقتنع بصواب موقفه ، ومؤمن بأنه يدافع عن عرضه وعرض قومه ، أقوى شكيمة ، وأكثر ثباتا ، من الذى يقاتل لأن تجار الحرب فى أمته دفعوه إلى القتال .

وثالث هذه الأسرار التى أشارت إليها الآيات ، وهو أيضا مترتب على الأول ونتيجة له ، هو تأييد الله ونصره ، ولكن الله أثبت فى هذه الآية أنه إنما يؤيد الصابرين الصادقين فى القتال .

فالعشرة من المؤمنين يغلبون المائة من الكافرين بأذن الله ، لأن الله يلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، ولكن ما هو السر فى أن الله ينصر هؤلاء ؟ السر أنهم صابرون (والله مع الصابرين) .

ولن نأتى بجديد إذا تحدثنا عن شجا ، فى الجاهلية والإسلام ، وعن فرسانهم وأبطالهم ، فتلك أمور مشتهرة متعارفة . ل من المفيد أن نشير هنا إلى أن الشجاعة

مكتبتنا العربية

وحدها ليست كافية ، وأنها تحتاج إلى سعة الحيلة فى القتال ، وحسن التصرف فى المواقف كلها ، والقاعدة الإسلامية (الحرب خدعة) من أقوى الأسس التى يقوم عليها النصر ، ويحدثنا عنترة بأسلوبه البدائى عن الطريق الذى كان يسلكه لينتصر ، فقد كان عنترة يجمع إلى نجدته وبأسه كثيرا من صفات الحزم والحكمة ، قيل له ذات يوم : أنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال : لا . قيل : فبماذا شاع لك هذا فى الناس ؟ قال : كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزما ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزما ، وما دخلت موضعا إلا قدرت لنفسى الخروج منه ، وكنت أعتمد الجبان الضعيف بالضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثنى عليه فأقتله .

صفات أربع كشفها عنترة من نفسه فى الجاهلية ، وما زالت إلى يوم الناس هذا ـ وستبقى ـ أجل ما يدخره القائد لمعاركه الفاصلة : الإقدام فى موضعه ، والإحجام فى موضعه ، والعمل بحذر ، والابتداء بالنقطة الضعيفة ليدخل الرعب فى الأقوياء .

ولكن ليس معنى ذلك أن يتوارى الجبناء وراء الحزم والعزم ، فلا يثبتون فى معترك ، ولا يقدمون على عظيمة ، فإن ذلك من خدع الطبع .

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

ولعل من الطريف الذى نستملح به هنا ، ذاكرين موقف فرنسا ، وقتالها فى سبيل قناة السويس إلى آخر جندى بريطانى ـ على ما روته بعض الملح ـ أن رجلا جاء إلى الشاعر ثابت بن جابر (تأبط شرا) وكان الرجل يكنى أبا وهب ، وكان تأبط شرا من شجعان العرب وفتاكهم ، فقال أبو وهب لثابت : بم تهزم الأقران ؟ قال : باسمى ، ماهو إلا أن أقول للرجل : أنا تأبط شرا حتى يفر من أمامى ، قال أبو وهب : بعنى اسمك بحلتى هذه . قال تأبط شرا : قد فعلت ، فلبس الحلة ثم أنشأ يقول :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها تأبط شرا واكتنيت أبا وهب
فهبه تسمى اسمى وسميت باسمه فأين له صبرى على معظم الخطب
وأين له بأس كبأسى وشدتى وأين له فى كل حادثة قلبى .. ؟ !

فهبوا فرنسا تسمت (قلب الأسد) أو لبست (شوارب النمر) فأين لها فى كل حادثة صبر الأبطال المغاوير ... ألا قاتل الله المتشبهين والأدعياء ؟

على العمارى

مكتبتنا العربية

النثر والشعر
فى تقدير الاسلام

للنثر خصائصه ومميزاته فى تقدير الإسلام الذى صور به الحقائق ، وأناط به الدقائق ، وجعله فى مستوى منيع هو فى واقع أمره أمنع من مناط الجوزاء ، لأن النثر ملاك الصيارفة يصوغون به كل عظيم ، ويحكمون به كل أمر جسيم ، وحسب الإسلام أن يكون القرآن جاريا على نسق لا يطاول ولا يقاول ، تتقطع دونه الأعناق وينتهى إليه اللحاق . « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » صدق الله ومن أصدق من الله قيلا ؟ فقد كانت العرب فى جاهلياتها ونزواتها تتسابق فى المنثور والمنظوم ، لـكن شوق العقول وحنين الأحاسيس كان يدور فى فلك النثر لأن به فصل المقال وإصلاح الحـال وخاتمة المـآل . ثم تطورت فضائل البشرية وخفت نزواتها رويدا رويدا فى صدر الإسلام ، فجاء الشعر فى عهد الإسلام مرتبا ومبوبا وصقيلا غير هزيل ، لأن شعر الجاهلية كان فى الحماسة وفى الغزل وفى أبواب الأخـــذ بالثأر والترات والمقارعة بالسيوف فى مواقف الحتوف والمفـاخرة بالأنساب والتسابق فى الأحساب ، أما الإسلام فقد عقد للشعر أبوابا لا تعـدو التنويه بالفضائل ومنابذة الرذائل والحض على مواكبة الصدق فى الملمات والإخاء فى النازلات والأخذ بيد المظـلومين والمنكودين ، والتجمع فى سلك واحد إذا عدا عاد على عشيرة اعتبرته العشائر عدوانا عليها .

كانت العرب فى الإسلام تحس بأحاسيس واحدة ، وتنبض بقلب واحد ، وتنطق بلسان واحد ، وتستقبل قبلة واحدة ، وتستهدى بإله واحد ونبى واحد وقرآن واحد ، وهى إلى عهدنا الراهن جد حفيظة على هذا التراث الموروث إذا نابتها النوائب وحلت بساحتها الكوارث . فليس عجيبا أن نرى بين أظهرنا اليوم عرب البـلاد العربية يتـكتلون مع عرب مصر ويفتدونهم بدمائهم وأموالهم ، لأنهم يرون فى العرب جميعا كتلة واحـدة ونسقا واحدا متمثلين بقول القائل :

مكتبتنا العربية

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طـاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

وإن كان الشعر فى واقع أمره ديوان العربية ، والثمرة اليـانعة لأدبها وحكمتها ، لأن العربية لغة الدين وذروة المؤمنين ، ثم هى بعد ذلك من الجوامع الأدبية بين شعوبها ، ناهيك أن رسول هذه الأمة صلى الله عليه وسلم اتخـذ لنفسه شاعرا يذود عنه بمرهفات الشعر ما كان يوجهه إليه شعراء المشركين : من نفثات سحرهم لحل عقدة جمـاعته ، وهدم أصول دعوته ، وقد روى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الشعر لحـكمة » .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتكلم عن الشعر وينشد مايحضره منه ، حتى سأل مرة جلساءه عن أشـعر الشعراء فى رأيهم ، فقال كل منهم مايعلمه ، فعارضهم وقال : بل أشعرهم هو الذى يقول :

فمن للسؤال ومن للنوال ومن للمقـال ومن للخطب ؟ !

وهذا البيت لزهير بن أبى سلمى .

وقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم » وكان عليه الصلاة والسلام ، وهو من هو ، يتمثل بالشعر ، حتى إنه كان إذا أراد المبارزة ينشد :

أى يومىّ من الموت أفر يوم لايقدر أم يوم قدر
يوم لا يقـدر لا أرهبه ومن المقـدور لاينجو الحذر

وروى يزيد بن مسلم الخزاعى عن أبيه عن جده قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم ومنشد ينشده قول شريك بن عامر المصطلق :

لا تأمنن وإن أمسيت فى حرم إن المنية تحمى كل إنسان
فاسلك طريقك تمشى غير مختشع حتى تلاقى الذى منى لك المـانى
فكل ذى صاحب يوما مفارقه وكل زاد وإن أبقيتـه فان
والخير والشر مقرونان فى قرن كل ذلك يأتيك الجـديدان

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو أدرك سلام لأسلم

مكتبتنا العربية

وقدم أبو ليلى النابغة الجعدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد بين يديه هذا البيت

بلغنا السماء مجدنا وجـدودنا وإنا لنرجو بعد ذلك مظهرا

فقال النبي صلى الله عليه وسـلم مبتسما : وأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال النابغة : الجنة يارسول الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجل ، إن شاء الله . حتى إذا بلغ إلى قوله :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصـدرا

قال له النبي صلى الله عليه وسلم مبشرا : لا يفضض الله فاك . فعمر مائة وثلاثين سنة لم تفضض له ثنية .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الشعر و يستنشده من يرويه . قال ابن أبى شيبة : إن النبي صلى الله عليه وسلم أردف الشريد فقال له : أتروى من شعر أمية بن أبى الصلت شيئا ؟ قال : نعم . قال : فأنشدنى ، فأنشده ، فجعل يقول بين كل قافيتين : هيه ، حتى أنشده مائة قافية ، فقال : هذا رجل آمن لسانه وكفر قلبه .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن رواحة : أخبرنى ما الشعر ياعبد الله ؟ قال : شيء يختلج فى صدرى فينطق به لسانى . قال : فأنشدنى ، فأنشده شعره الذى يقول فيه :

قبلت لله ما آتاك من حسن قفوت عيسى باذن الله والقـدر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وإياك قبلت لله ، وإياك قبلت لله !

وقال زياد بن طارق الجشمى : حدثنى أبو جرول الجشمى ، وكان رئيس قومه ، قال : أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فبينما هو يميز الرجال من النساء ، إذ وثبت فوقفت بين يديه وأنشدته :

امنن علينا رسول الله فى كرم فانك المرء نرجوه ونننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها يا أرجح النـاس حلما حين يختبر
إنا لنشكر للنعمى إذا كفرت وعندنا بعد هـذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشأ فى هوازن وأرضعوه ، فقال عليه الصلاة والسلام : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم ، قالت الأنصار : وما كان لله ولرسوله . وردت ما كان بأيديها من الأموال والذرارى .

وأنشد عمر بن الخطاب قول زهير بن أبى سلمى :

فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفاذ أو جلاء

فجعل عمر يعجب بمعرفته بمقاطع الحقوق وتفصيلها ، وإنما أراد بمقاطع الحقوق : اليمين أو الحكومة أو البينة .

قال سعيد بن المسيب : كان أبو بكر الصديق شاعرا ، وعمر بن الخطاب شاعرا ، وعلىّ أشعر الثلاثة ، ومن قول علىّ عليه السلام بصفين حين كان يحارب معاوية :

أمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حصين تقدما
فيوردها فى الصف حتى يردها جياض المنايا تقطر السم والدما

ولما بعث عمر الفاروق رضى الله عنه بكتابه إلى علىّ رضى الله عنه حين أبطأ علىّ فى مبايعة أبى بكر فى صدر خلافته ، وقد ورد فى هذا الكتاب الذى أرسله مع أبى عبيدة : قل له يا أبا عبيدة : الحق مفرقة والباطل مغرقة ، والحق عطوف رؤوف ، والباطل عنوف عسوف ، ولئن لم يندمل هذا الجرح بمثبار رأيك وحزمك ، ولم تستجب حيته لرقيتك ، أعضل البأس ، ووقع اليأس ، واحتيج بعد إلى ما هو أمر من ذلك وأعلق ، وأعسر منه وأغلق ، ونحن من وراء ذلك نعانى أهوالا تذيب الرواسى ، ونقاسى أحوالا تشيب النواصى ، ذهب على من فوره إلى فاطمة الزهراء وأعلمها الأمر ، ثم قال يخاطب نفسه :

إحدى لياليك فهيسى هيسى لا تنعمى الليلة بالتعريس

ثم قال : إذن فأنا مع هؤلاء كأخى بنى سليم :

فان تسأليني كيف أنت فانني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علىّ أن ترى بى كآبة فيشمت عاد أو يساء حبيب

ودخل كعب بن زهير بن أبى سلمى على النبى صلى الله عليه وسلم مادحا إياه بقصيدته المشهورة التى استهلها بالغزل الرفيع حيث قال :

مكتبتنا العربية

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول
ما إن تدوم على حال تكون بها كما تلون فى أثوابها الغول
ولا تمسك بالوعد الذى وعدت إلا كما يمسك الماء الغرابيل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل
ولا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأمانى والأحلام تضليل

ثم خرج من هذا إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكساه بردا ، فلما آلت الخلافة إلى معاوية رضى الله عنه اشترى هذا البرد بعشرين ألف درهم .

هذا شأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى تقدير الشعر والشعراء، وقد جرى التابعون على هذه الخطة ، فكان منهم الشعراء المجيدون كعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة ، ومنهم عروة بن أذينة وكان من ثقات رواة الحديث . ومنهم الشعبي الإمام المشهور ، ويروى عنه أنه قال : « ما أنا لشيء من العلم أقل منى رواية للشعر ، وإن شئت أن أنشد شعرا شهرا لا أعيد بيتا فعلت » .

وكان عبد الله بن المبارك الفقيه الزاهد الكبير شاعرا يحب الشعر الجيد . روى عنه أنه على زهده ونسكه وتقواه سمع سكرانا يتغنى بهذا البيت :

أذلنى الهوى فأنا الذليل وليس إلى الذى أهوى سبيل

فكتبه : فقال له أصحابه : أتكتب بيت شعر سمعته من سكران ؟ قال : اما سمعتم المثل : رب جوهرة فى مزبلة .

وكان أيوب السختيانى رضى الله عنه يقول :

الماء فى مقلتى والنار فى كبدى إن شئت فاغترفى أو شئت فاحترق

هذه كانت مكانة الشعر عند المسلمين الأولين ، وما حداهم إلى الحنين إليه الا صحة شعورهم ولطف حسوسهم ، فان الشعر غناء الأرواح ، وترنام الخواطر ؛ فاذا صدف

مكتبتنا العربية

عنه فانما يكون ذلك لفساد الشعور وغلظ الحسوس ، ولا جرم أن انحطاطه فى أمة يشعر بانحطاطها فى جميع مقومات الحياة الأدبية .

وإذن فلا محل للقول بجواز الطعن على الشعر إطلاقا من حيث كونه شعرا ، فالشعر المباح الذى يحمل بين برديه اجتناب المحظورات ، وممارسة المأمورات ، ومعانقة الفضيلة ، ومجانبة الرذيلة ، وغرس الفضائل والكواملى نفوس المتعلمين ، واقتلاع بذور الرذائل والقضاء على المفاسد والمباذل فى عقول الناشئين ، مأمور به ومعنى فى تقدير الإسلام .

أما الشعر الذى يحض على مناجزة الأخلاق الخيرة والفضائل المستعذبة ، ويخرج على الآمنين فيسلبهم أمنهم وطمأنينتهم ، ويتحسس عن عيوبهم لينشرها بين أعدائهم وأصدقائهم ، ويزين للناس الشرور والآثام فى ثياب من زخرف القول وبهتانه فهو الذى عناه القرآن الحكيم بقوله :

«والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون» ومن هذه الناحيه أشاد القرآن بأخلاق النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » . ما

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عباس طه
المحامى

فى الصين لا غش ولا سرقة

يقول الأستاذ عبد المنعم العدوى المرافق لوفد علماء باكستان إلى بلاد الصين الشعبية : إن الخيانة والرشوة والغش والسرقة ، كل هذه المنكرات لا تعرفها الصين الشعبية ، فليس فيها من يرتشى أو يغش لبنا أو زبدة أو غيرها ، كما أنه لا يوجد فيها من يسرق ، لأن من يرتكب إحدى هذه المنكرات يعلم تماما أن رصاصة تفرغ فى رأسه وأنها هى الثمن لذلك .

مكتبتنا العربية

ذكرى الهجرة النبوية

ألقيت فى احتفال الأزهر بعيد الهجرة النبوية

نحمدك اللهم مسبغ النعمة ، وواسع الرحمة .

ونصلى ونسلم على رسولك المصطفى سيدنا محمد بن عبد الله أكرم من بعثت ، وأصفى من واليت ، تزود من لدنك علما ومعرفة ، وتذوقت أمته سعادة الأمن وحلاوة الإيمان .

أما بعد ، فأن الأزهر الشريف حين يحتفل بذكرى هذا الحادث التاريخى العظيم ، ذكرى الهجرة النبوية ، فأنه يتيح للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تعرف هذا المجد السالف فى الجهاد والجلاد ، ويجلى لهم مواضع العظمة الخالدة التى نشأ الإسلام عليها نفوس أبطاله الأباة الأكرمين ، وكيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأولين لاقوا من العنت والسفه والجهالة ما تضيق به رحاب الآفاق ، ولكنهم كانوا أوسع صبرا ، وأطيب نفسا ، وأقوى ثقة بأن الغلبة للحق ، وأن النصر مع الصبر ، وأن مع العسر يسرا .

وكم لله من لطف خفى ... يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر ... وفرج لوعة القلب الشجى
وكم هم تساء به صباحا ... وتعقبه المسرة فى العشى
إذا ضاقت بك الأسباب يوما ... فثق بالواحد الأحد العلى

* * *

من المثل العليا فى الثقة بالله التى تفيض على النفس عزمة ورباطا وقوة ، ما كان من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خروجه من بيته بمكة إلى الغار ، وقد أحاط ببيته فتية أشداء ، وبأيديهم السيوف المصلتة يؤلفون عصبة لقتله ، وقد اختير من كل قبيلة شاب جلد قوى البأس ، حتى إذا ما خرج ضربوه ضربة رجل واحد ليتفرق دمه فى القبائل ، فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يثأروا له «وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ، فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله » . وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

مكتبتنا العربية

ما بيت له أعداؤه فما وهن ، ولا نكص ، ولا استكان . . ولكن قويت ثقته بربه ، وتملكته عزمة الحق الذى يرفع رايته ، والإباء الذى يستصغر كل معوق ، فخرج صلى الله عليه وسلم بين هذه الأسياف المستشرفة ، والحدقات المحمرة ، والصدور المغضبة ، وهو يهمس بقول القوى العزيز : (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ومرق منهم ولم يشعر به أحد وتركهم فى خزيهم مبلسين .

* * *

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار ومعه صاحبه أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ومكثا فيه ثلاث ليال كانت فيها قريش تدور حول نفسها فى دهشة وحيرة وغضب ، وفى تتبع الأثر الذى يقف بهم عند الغار فيقول قائلهم : ما أراهما تجاوزا هذا الغار ، ويسألون راعيا بالقرب من هذا الغار فيقول : قد يكونان فيه ، وإن كنت لم أر أحدا دخله . ثم يمعنون النظر فى باب الغار فيجدون خيوطا للعنكبوت على حالة تدل على القدم البعيد ، ويجدون عشا لحمامة ورقاء لم تمتد إليه يد تقوضه أو تزيله ، ويتشككون ويترددون ، وأبو بكر الصديق فى داخل الغار يشتد خوفه ، ويضطرب فؤاده ، ويقول للرسول : لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا ، فتتجلى ثقة الرسول بربه ويهمس فى أذن صاحبه : « لا تحزن إن الله معنا » ، « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » . فتطمئن نفس أبى بكر ويهدأ روعه ، وينصرف المشركون مؤكدين أن الغار لم تطأه قدم إنسان .

ولقد ذكر القرآن الكريم أمر هذه المؤامرة والمطاردة ، وحفظ الله لرسوله ، وتطمين الرسول لصاحبه أبى بكر . ففى سورة الأنفال يقول الله عز وجل : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

وفى سورة التوبة يقول جل جلاله : « إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

وإلى قصة الغار يشير صاحب الهمزية بقوله :

أخرجوه منها وآواه غار ... وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ... ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآ ... ه ومن شدة الظهور الخفاء

مكتبتنا العربية

ومضت هذه الليالى الثلاث فى نظام رتيب أحكمه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فكان ابنه عبد الله يبيت عندهما يحدثهما بما كان من أمر قريش نهارا ، وكان مولاه عامر بن فهيرة يرعى غنما و يتبع عبد الله فى خروجه من الغار ليعفى على أثره ، وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما فى الغار بما تصلحه لهما من طعام . .

وخرجا بعد ذلك إلى طريق المدينة ومعهما راحلتان اشترى النبى صلى الله عليه وسلم إحداهما من أبى بكر ، وسار معهما عبد الله بن أريقط ببعيره ، وقد أعدت لها أسماء زادالسفر ، فلما ارتحلا لم تجد ما تعلقه به فى رحالها ، فشقت نطاقها نصفين وعلقت الطعام بنصفه وانتطقت بالنصف الآخر فسميت « ذات النطاقين » رضى الله عنها .

وأخذ أبو بكر معه كل ما بقى له من مال وقد بلغ خمسة آلاف درهم ، وذكرت أسماء أن جدها أبا قحافة دخل البيت بعد رحيل أبى بكر وقال : ما أظن إلا أن أبا بكر قد فجعكم فى ماله كما فجعكم فى نفسه . قالت : كلا يا أبت ، إنه ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة فى البيت كان أبى يضع ماله فيها ووضعت فوقها ثوبا ، ثم أخذت بيده وكان قد كف بصره فوضعتها فى الكوة ، فقال : لا بأس إن كان ترك لكم هذا ، ففيه بلاغ لكم ، ولا والله ما ترك أبى شيئا ، ولكنى أردت أن أسكن قلب الشيخ . . وسار الركب فى طريقه فى يقظة وحذر متخذا من السبل ما قل أن يطرقه المسافرون .

وكانت قريش قد جعلت مائة ناقة لمن يرد عليهم محمدا أو يدل عليه . وسمع سراقة ابن مالك بأمر الركب ، فخرج سرا مسرعا ممتطيا جواده متتبعا أثر الرسول وصاحبه ، حتى إذا أدركهما وسمع قراءة النبى ساخت قوائم فرسه ، فاستغاث بالرسول على أن يعود من حيث أتى ، فأشار الرسول إلى الفرس فنهضت من كبوتها ، وعاد سراقة إلى مكة من غير أن يلحق بهم أذى . . وفى هذا يحدث سراقة أبا جهل فيقول :

أبا حكم والله لو كنت شاهدا ... بأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم ترتب بأن محمدا ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه ؟ !

* * *

وتابع الرسول وصاحبه ودليلهما السير فى طريق المدينة فى جو ملتهب الحرارة شديد القيظ ، وفى حذر وترقب ، فكان فى قسوة الجو ، ولحاجة العدو ، واضطراب الخاطر ،

مكتبتنا العربية

ما يفزع الآمن و يقلقل الساكن ، و يطوق النفس باطار من البلبلة والخوف والنصب ، إلا أن كل ذلك قد هان عند الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه بازاء شرف الغاية ونبل المقصد و إنفاذ أمر الله . .

و بلغا بعد مسير سبعة أيام قبيلة بنى سهم وأقبل شيخها بريدة يحييهما و يهش لهما فاطمأنا إلى أنهما أصبحا من المدينة قاب قوسين أو أدنى .

* * *

وكان أهل المدينة يرتقبون بشغف وشوق شديدين مجىء النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن يهل عليهم بطلعته الوضاءة المشرقة ، وأن يروا وجهه الصبيح الأيمن ، وأن يستمعوا إلى حديثه العذب الممتع ، وأن يأنسوا بجواره الطيب الكريم . .

فكانوا يخرجون كل يوم بعد صلاة الصبح إلى ظاهر المدينة يستشرفون قدوم حبيبهم ورسولهم ، و يظلون حتى يلهبهم وهج الشمس ويحرقهم حرها ، وكانت الأيام من شهر يوليه قاسية شديدة ، فيرجعون إلى المدينة ليعودوا فى اليوم التالى وهكذا .

إلى أن كان مجيئه صلى الله عليه وسلم ، فرآه يهودى على مد البصر ، وكان يعلم ترقب أهل المدينة قدومه ، فنادى بأعلى صوته : يا أهل المدينة ، هذا حظكم الذى تنتظرونه . فخرج أهل المدينة مهللين مكبرين ، واستقبله ما يزيد على خمسمائة من الأنصار فيهم الرجال والنساء ، وفيهم الشيوخ والشباب والأطفال ، وانتشر الفرح وعم السرور جميع أرجاء المدينة .

فعن البراء رضى الله عنه : ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شىء ، وصعدت منها ذوات الخدور على الأجاجير ـ أى سطوح البيوت ـ يعلن بفرحهن وابتهاجهن .

وعن عائشة رضى الله عنها : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

مكتبتنا العربية

وجب الشكر علينا ما دعا لله داعى
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وهكذا لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأول وهلة من أهل المدينة التقدير البالغ ، والولاء الكبير ، والحب الذى ملك عليهم قلوبهم ومشاعرهم ، فكانوا فى فرحهم وابتهاجهم أوفياء صادقين .

* * *

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسم سياسته الحكيمة الحازمة فى جمع الكلمة ، وتقوية الجبهة ، وتوحيد الصف ، فأزال ما بين الأوس والخزرج من خلاف ، وجمعهم على محبة الله ورسوله ، وآخى بين المهاجرين والأنصار فى بر ومرحمة وإيثار ، وكان الأنصارى المثل الأعلى فى كرم الوفادة وحسن الاستقبال ، كما كان المهاجرى مثلا ساميا فى التعفف والإباء .

كان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين بمؤاخاة رسول الله ، ولم يكن عبد الرحمن يملك شيئا ، فعرض عليه سعد أن يشاطره ماله فأبى عبد الرحمن ، وقال : إن الدين الذى اعتنقناه لايعرف تواكلا ولا استكانة بل يعرف الكدح والعمل ، دلونى على السوق فأشترى وأبيع وآكل من كسب يدى .. وقد استطاع رضوان الله عليه أن يكون فى عداد التجار الأثرياء بعد زمن وجيز .

وعمد نفر من المهاجرين إلى الاشتغال مزارعة فى أراضى الأنصار ، وكانوا جميعا فى محبة ووئام .

* * *

كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة طرفا من سماحة الإسلام وتعاليمه الواضحة المستبينة ، وأنه يقدس حرية الرأى ، وحرية العقيدة ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ، فكان هذا الفتح المبين عهدا جديدا كريما ، جديرا بدين يختم الله به الأديان كلها ، وجديرا برسول سمت نفسه ، وصدق ولاؤه ، وطهر قلبه ، وقوى عزمه .

ترك الأهل والوطن ، وجاهد فى الله حق جهاده ، لتنال الإنسانية حظها فى العدل

مكتبتنا العربية

والبر والكرامة ، فى ظل توحيد الله وتمجيده والاعتراف له بالربوبية القادرة والعزة الغالبة والفضل الكبير .

* * *

صراع بعيد المدى بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال .

صراع امتدت فيه يد الظلم العاتية ، تساندها عصبية جاهلية حمقاء .

صراع ضيقت قريش فيه الحصار ثلاث عشرة سنة من بدء البعثة إلى الهجرة على رسول الله وأصحابه ، ولكن قوة الباطل مهما طغت فهى إلى انحلال ، وليل الضلال وإن طال فهو وشيك الزوال .

* * *

وحالنا اليوم ـ أيها السادة ـ فى هذا الصراع بين المستعمرين الغربيين فى باطلهم ، وبين رجال العروبة والإسلام فى حقهم ، يذكرنا بقوة الكفاح ، وجلادة العزم ، وجلال المصابرة والمرابطة من رسول الإسلام وصحبه ، حتى أشرق النصر ، ورفرفت راية السلام .

هذه ثورتنا المكافحة الفتية آمنت بحق العروبة ولمست عنت المستعمر واستبداده الآثم ، فأجلته عن البلاد ، وأممت مصالح الوطن ، فى صادق عزم ، وجلال حزم ، لتحفظ لمصر كرامتها ، وتصون للعروبة عزتها . ولعل من يمن طالع هذا العام الجديد أن تفوز مصر بفوز قادتها على أطماع هؤلاء الوالغين فى الأموال والدماء ، المتحرقين أبدا للاستيلاء والاستعلاء . ولعل أن تنالنا نفحة من بركة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته المهاجرين ، الذين أدركوا بصبرهم وجهادهم جمال النصر ، ولذة الظفر ، فننال مما نالوا ، ونظفر بما ظفروا .

وإنك يا سيدى يارسول الله هادى هذه الأمة ، وقائدها الأول ، ومجاهدها الأمين .

ونحن ننهل من شرعتك رحيقا .

ونتخذ من منهاجك طريقا .

* * *

مكتبتنا العربية

يا خير من عطر الأرجاء هجرته ... وخير من شرف الإنسان محتده
وخير من أشرقت فى الكون حجته ... وصال فى جبهة الدنيا مهنده
جاهدت فى الحق أعداء الهدى فسما ... بك الجهاد ، ونال المجد سيده
وكنت للناس فى بدو وفى حضر ... شمسا إذا شارفوا ليلا تبدده
بالرأى والحزم والأخلاق طالعهم ... فيض من الفضل لازلنا نردده
باليمن ذكراك يامختار نذكرها ... والعهد للدين ـ مسئولا ـ نجدده
فاشهد بأن بنى الإسلام ما نكصوا ... ونحن للحق نرعاه وننشده
ونحن فى مسمع الدنيا ويقظتها ... مجد يدوى وعين الدهر تشهده

* * *

هكذا كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة جهادا ، وصبرا ، وفتحا ، وتبيانا ، وثقة بالله واعتصاما به : (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

فخذوا يا أبناء الإسلام عن رسول الإسلام هذه الدروس الغالية وافقهوها ، وأجمعوا أمركم ، ووحدوا صفكم ، وكونوا على الأعداء قوة لا تضعف ، ونارا لا تخبو ، وقوة لا تلين ، والله معكم ، ولن يترككم أعمالكم ؟

محمد عبد التواب
مفتش الوعظ العام بالأزهر

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

عين الكمال

مدحة فى بهى سنا المصطفى صلى الله عليه وسلم

أعين الكمال ، ونور الجمال ... لأنت الحبيب الفريد المثال
عظيم الثناء ، تميم الوفاء ... كميل الغناء ، أغر الخلال
رءوف رحيم ، سخى كريم ... صفى سليم ، بديع المقال
كفى بامتداح الإله العزيز ... تعالى الحميد شديد المحال
عليك الصلاة رسول الإله ... عليك السلام رفيع الشمال
عليك الصلاة كعد البرايا ... عليك الصلاة رضا ذى الجلال
عليك السلام كمطر الورود ... عليك السلام كريح الغوال

أبو بكر مخيون
بأبى حمص بحيرة

محكم ابن سيده

بين الطى والنشر

لفتنى الصديق الوفى ، العالم الجهبذ ، الأستاذ أحمد الشرباصى ، إلى كلمتكم النفيسة [١] التى عرضتم فيها بالنقد البناء ، لكتاب « الصحاح ومدارس المعجمات العربية » الذى ألفه صديقنا الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، ونشره المحسن الجازى السيد حسن شربتلى ، والذى يعد العدة - كما وعد وقرر عبد الغفور - لنشر كتاب « تهذيب اللغة » للأزهرى .

وقد وقفت من كلمتكم الجامعة ، عند كلمتكم :

« ولا نستطيع أن نكتم هذا المحسن العربى ، أن أعلام الإسلام من الطبقة التى كانت قبلنا ، وعلى رأسها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، والعلامة الشنقيطى الكبير ، والشيخ طاهر الجزائرى ، وأحمد تيمور باشا - كانوا يتمنون أن يطبع كتاب (المحكم) لنابغة الأندلس أبى الحسن على بن إسماعيل بن سيده الضرير ... » .

وقفت هنا وقفة المتأمل ، والمتألم .

ذلك بأن محاولات عدة ، بذلت لنشر هذا الكتاب ، ولكنها ذهبت مع الريح ، لأمرين جوهريين :

أولا : عدم وجود نسخة كاملة منه ، فى أى مكتبة من مكتبات العالم العامة . والقول بغير ذلك مجانب للصواب .

وقد تدسس هذا الوهم إلى المستشرق الألمانى شارل بروكلمان ، فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » المطبوع سنة ١٨٩٨ ، حيث قرر فى ص ٣٠٨ ج ١ : « أن فى دار الكتب المصرية نسخة كاملة منه » .

---

[١] فى باب الكتب من جزء شوال ١٣٧٥ .

مكتبتنا العربية

ولم يقف عند هذا الحد ، بل زاد على ذلك أن فى المتحف البريطانى نسخة أخرى .

وقد تابعه على هذا الوهم الدكتور فيشر المستشرق الألمانى ، والذى كان عضوا بالمجمع اللغوى حتى وفاته . وقد كشفت له فى رسائل ثابتة ما يدحض هذه الدعوى .

ومما يؤسف عليه أن يتسرب هذا الرأى إلى الأستاذ محمود مصطفى فى كتابه « إعجام الأعلام » ، والعالم الهندى الأستاذ الندوى صاحب « فهرست المصنفات » .

ومن يمن الطالع ، أن أحد علماء تونس الأجلاء ، تنبه إلى هذه الحقيقة ، فنبه إليها ، فى مادة « ابن سيده » من « دائرة المعارف الإسلامية » حيث كان هو محرر تلك المادة ، وهو الأستاذ محمد بن شنب .

ومنذ أكثر من أربعين سنة حاول المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وقتئذ ، أن يطبع ذلك الكتاب ، فألف ـ لذلك ـ لجنة ، ولكنها لم تستطع عمل شىء ، بل من نحو ٦٠ سنة تألفت لجنة قوامها : الشيخ محمد عبده ، والشيخ الشنقيطى ، والشيخ عبد الغنى محمود ، وعبد الخالق ثروت باشا ، وحسن عاصم باشا ، ومحمد النجارى بك . ولكنها وقفت ـ حين تحقق لها عدم وجود نسخة كاملة ـ مكتفية بطبع كتاب «المخصص» وهو أعظم كتب ابن سيده ، بعد كتابه « المحكم » . ومن طريف ما يذكر أن كانت اللجنة تعتمد أحيانا فى تحقيق « المخصص» واستكمال نقصه ، وسد خرومه ، على حافظة الشيخ الشنقيطى ، يشهد بذلك قوله فى كتابه « الحماسة السنية فى الرحلة العلمية » :

سيبكى علىّ العلم والكتب بعد ما ... صد عن بأمرى غير صم ولا بكم
(مخصصها) المطبوع يشهد مفصحا ... بما حاز من ضبطى الصحيح ومن رمى
(فعبد الغنى) القارئ الفرع ، شاهد ... بحفظى عند الحذف والبتر والحزم

ثانيا ـ ما ذكرتموه من «صعوبة المراجعة فيه» ، فقد وضعتم إصبعكم على الداء الدفين ، وقد شكا القدامى مما شكوتم منه ، وعلى رأس أولئك الإمام ابن منظور ، فى مقدمة اللسان ، حيث قال فى الخطبه (ج ١ : ص ١ ـ ٣) ما نصه :

« غير أن كلا منهما (أى تهذيب الأزهرى ، ومحكم ابن سيده) مطلب عسر المهلك ،

مكتبتنا العربية

وعر المسلك ، وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا وجلاهم عنه ، وارتاد لهم مرعى مريعا ومنعهم منه .

قد أخر وقدم، وقصد أن يعرب فأعجم ؛ فرق الذهن بين الثنائى والمضاعف والمقلوب ، وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعى والخماسى فضاع المطلوب ؛ فأهمل الناس أمرهما ، وانصرفوا عنهما ؛ وكادت البلاد ـ لعدم الإقبال عليهما ـ أن تخلو منهما ، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب ، وتخليط التفصيل والتبويب » .

* * *

والآن أنتقل نقلة سريعة إلى عام ١٩٣٩ ، حيث وفقنى الله لجمع شتات الكتاب ، وشرحت ذلك فى مذكرة تفصيلية ، رفعتها إلى وزارة المعارف ، رجاء أن تعاونى على طبعه بالاشتراك فى عدد من النسخ لمكتبات مدارسها .

وقد أحال الدكتور هيكل وزير المعارف سنتئذ المذكرة إلى لجنة فنية ، على رأسها العالمان الجليلان المرحومان : محمد أحمد جاد المولى بك ، وعلى الجارم بك ، وانتهت اللجنة ـ بعد دراسة استمرت أربعة أشهر ـ إلى إقرارى على جميع ما ذكرت ، وتأييدها إياى فى كل ما اقترحت ، ومن ذلك المنهج الذى رسمته فى تبويب الكتاب وترتيبه ، وهو على النسق الذى اقترحتموه فى كلمتكم النافعة « على ترتيب المصباح والأساس » .

وقد سجلت اللجنة ـ مشكورة ـ صنيعى فى جمع الكتاب، ولم شتاته، واستكمال نقصه، وسد خرومه ، والوقوف على جميع الأجزاء الموجودة فى المكتبات العامة بالعالم ؛ وأثنت ثناء جما .

وقد رأى الأستاذ العشماوى وكيل الوزارة وقتئذ ، وجوب إخراج الكتاب ، وتيسير طبعه ، ومعاونة المجمع اللغوى فى ذلك .

ثم قامت الحرب ، فاستقر المشروع فى أضابير المجمع ، يتأرجح بين الحياة والموت .

* * *

وأخيرا ، من عام وبعض عام ، زارنى فى منزلى الأديب الحجازى الأستاذ أحمد عبد الغفور ، لينهى إلى أنه تذاكر والسيد حسن شربتلى موضوع « المحكم » ، وأن

مكتبتنا العربية

الرأى استقر على نشره ، وأنه تحـــدث إلى المسئولين فى الجامعة العربية ، لتنفيذ ذلك من الاعتماد المـالى الذى خصصه السيد الشربتلى ، ووضعه تحت تصرف الجامعـة لطبع أمهات الـكتب العربية .

وأقول فى وجازة : إن الأستاذ عبـد الغفور تسلم منى مذكرة المشروع ومفاتيحه ، ليعد العدة للتنفيذ .

وزاد على ذلك ـ إمعانا فى الثقة ـ أن عهد إلى بتحقيق ومراجعـة النسخة المطبوعة من كتاب « الصحاح » فى بولاق، والنسخة المخطوطة من كتاب « التكملة » للصاغانى.

و بعد أن قطعت فى مهمتى شوطا كبيرا ، فى التحقيق العلمى ، والمراجعـة الفنية ، بدأت أشرف على الطبع والتصحيح ، ثم وقفت ـ بعـد قليل ـ على ما أقنعنى به بعض المسئولين فى الجامعة العربية ، من وجوب الـكف عن العمل ، حتى أرى نتيجة عملية لأحد العملين : « المحكم » أو « الصحاح » .

ولا أزال حتى الساعة فى تنظر إحدى النتيجتين ، وأخشى ما أخشاه أن يكون هذا مآل البشرى التى ابتهجتم لهـا كثيرا ، وهى أن السيد الشربتلى يعـد العدة لنشر كتاب (تهذيب اللغة) للأزهرى .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

و إنى لعلى يقين ، أن السيد الشربتلى ، حين يقف على هـذه الحقائق ، سيعمل على وضع الأمر فى نصابه ، والله ولى التوفيق ؛

عبد العزيز الأسلمبولى
منشئ « المعرفة »
وعضو نقابة الصحفيين

مكتبتنا العربية

لغويات

سأوطن نفسى على الصبر المرير

يستعمل الكتّاب فى عصرنا هـذا الوصف « المرير » فى معنى المرّ ضد الحلو . وقد لقى هذا الاستعمال إنكارا من بعض الناقدين وأوجب هؤلاء ألا يعدل عن « المرّ » . وحجتهم أن المرير يأتى بمعنى العزيمة أى الجزم بالأمر وعدم التردد فيه . ومن هـذا قول الشاعر :

ولا أنثنى من طيرة عن مريرة ... إذا الأخطب الداعى على الدوح صرصرا

الأخطب : طائر يتشاءم به . يقول : إنه إذا صمم على أمر لا يثنيه عنه التشاؤم بطير يصيح على الدوح أى الشجر العظيم ، كما يرد بعض الناس ، بل يمضى لطيّته . ويقرب المرير فى هذا المعنى من المِرّة ، يقال : رجل ذو مرّة أى قوة وعزيمة . والأصل فى هذا مرّ الحبل ، وهو إحكام فتله ، فيكون ذلك قوة له . وقيل منه : حبل مرير ، وهو ما طال واشتد فتله ، ويستعار لغير الحبل فيقال : رجل مرير أى قوى ، كأنما أحكم فتله وجدله ؛ كما قيل : رجل محصد فى هـذا المعنى ، وأصل الإحصاد لإحكام الفتل ، يقال : حبل محصَد : محكم مفتول ، ورجل محصد الرأى : محكمه سديده على التشبيه بذلك . وهذا على ما فى اللسان والقاموس والمصباح ، ولا يرى القارئ فيها المرير فى معنى المرّ . ومن هنا جاء الإنكار . غير أن هـذه الصيغة جاءت فى الأساس فانتفت عنها الهجنة والذام . ففيه : « وشىء مرّ ومرير وممرّ . قال :

مكتبتنا العربية

إنى إذا حذرتنى حذور حلو ، على حلاوتى مرير

ذو حدة ، فى حدتى وقور

فتراه قابل الحلو بالمرير ، فكأنه قال : حلو ، مر على حلاوتى أى مع حلاوتى .

انتشلنى من هوة الفاقة

هذا الاستعمال سائغ كثير . وقد جاء فى مجلة المنار (المجلد ٢٢ ص ٢٠٣) فى تقرير مشروع التعليم الأولى عند الكلام على وجوه الإصلاح الإدارى والاجتماعى : «وجلى أن أول عامل يتوقف عليه نجاحها إنما هو تحرير الشعب من ربق الجهل وانتشاله من هوة الأمية » فكتب صاحب المنار ـ عليه رحمة الله ـ فى ذيل الصفحة : المنار : النشل والانتشال فى العربية : أخذ اللحم من القدر . وله آلة عقفاء تسمى المنشال . ويطلق النشل على أخذ اللحم عن العظام أيضا . ويستعمله كتاب الجرائد وأمثالهم من المعاصرين بمعنى الإنقاذ من هلكة حسية أو معنوية . ولهذا المعنى فى اللغة كلمة فصيحة ، وهى الانتياش قال ابن دريد :

إن ابن ميكال الأمير انتاشنى من بعد ما كنت كالشىء اللقى

هذا كلام صاحب المنار ، وفى جواهر الألفاظ ٢٦٩ : « وانتشته من كبوته » . وترى صاحب المنار يذهب إلى تخصيص النشل والانتشال بما فى القدر ، وفى اللسان : « نشل الشىء ينشله نشلا : أسرع نزعه » وترى فى هذا الإطلاق وعدم التقيد بلحم القدر ، فانتشال الرجل من الشدة : انتزاعه منها وإنقاذه ، على أنه إذا كان الانتشال خاصا بلحم القدر فانه يسوغ استعارته لإنقاذ الرجل من الهلكة ، فان الرجل إذ تغشاه النازلة يتقلى فيها ويصيبه شرها كما يتقلى اللحم فى القدر ، وإنجاء الرجل منها كانخراج اللحم من القدر ، ويرى القارئ من هذا أن استعمال كتاب الجرائد ومن على شاكلتهم فى هذا الحرف غير بعيد عن منهج الصحة والسداد .

الطريان — أبيار

١ — الطريان أصله الطرآن ، فانما هو مصدر طرأ الشىء أى عرض ، وفى المصباح :

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

بيع الدين ونقله

— ٣ —

الصورة الثانية : بيع الدين لمن عليه بثمن مؤجل :

وذلك كأن يكون لشخص على آخر دين قدره عشرون جنيها مثلا فيتفقان على أن يأخذ الدائن فى نظيره خمسة أرادب من القمح بعد مدة معينة كشهر أو نحوه ، وتسمى هذه الصورة عند بعض الفقهاء « بفسخ الدين فى الدين » لأن ما فى ذمة المدين من الدين الأول قد فسخ وزال بالتزامه دينا آخر بدله .

وحجة الأئمة الأربعة فى منع هذه الصورة ما فيها من بيع الكالئ بالكالئ الذى ورد النهى عنه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووقع الإجماع على بطلانه [١] .

واحتج ابن القيم على الجواز بما يأتى :

١ — أن هذا التصرف فيه غرض صحيح ومنفعة مطلوبة للمتعاقدين ، إذ تبرأ ذمة المدين عن دينه الأول وتشغل بدين آخر قد يكون أسهل على المدين وأنفع للدائن ، وإذا كان الأمر كذلك فإنه يكون جائزا شرعا ، لأن التعامل إنما شرع لتحصيل منافع الناس وقضاء مصالحهم .

٢ — أن الشارع قد أجاز أن يشغل أحد المتعاقدين ذمته بدين وأن يحصل المتعاقد الآخر على الربح وذلك فى بيع العين بالدين ، فيجوز أن يفرغ المدين ذمته من دين ويشغلها بغيره وكأنه شغلها به ابتداء إما بقرض أو بمعاوضة .

٣ — أنه قد جازت الحوالة شرعا وهى تقتضى نقل الدين وتحويله من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه ، فقد حصل فيها معاوضة المدين للدائن عن دينه بدين آخر فى ذمة ثالث ، وإذا جازت معاوضة الدين بالدين فى ذمة غير المتعاقدين فأولى بالجواز ما لو كان الدين فى ذمة أحدهما [٢] .

---

(١) المغنى جـ ٤ ص ١٧٢ ، ونيل الأوطار جـ ٥ ص ١٣٢

(٢) أعلام الموقعين جـ ٢ ص ٩٠

مكتبتنا العربية

وقد نوقش استدلال الجمهور بالحديث بأن هذا الحديث لا يصلح للاحتجاج به لاتفاق الأئمة على ضعفه حتى قال فيه الإمام أحمد: «إن فى إسناده موسى بن عبيدة الربذى ولا تحل الرواية عنه»، وقال الإمام الشافعى: «أهل الحديث يوهنون هذا الحديث» [١].

وأما الإجماع فقد أنكر حكايته ابن القيم وقال: إنه ليس هناك إجماع فى هذه الصورة (٢).

وإذ قد انتفى المانع الشرعى من جواز البيع فى هذه الصورة، وكان فى هذا التصرف مصلحة للعاقدين وتحصيل منفعة تعود عليهما، فلا يسعنا إلا ترجيح القول بالجواز تمشيا مع روح الشريعة السمحة وجريا على قواعدها العامة.

الصورة الثالثة: بيع الدين لغير المدين بثمن حال:

احتج المجيزون بما يأتى:

(١) ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من ابتاع دينا على رجل فصاحب الدين أولى إذا أدى مثل ما أدى صاحبه» [٣]، فقد أقر الرسول عليه الصلاة والسلام البيع وجعل المدين أولى من المشترى إذا دفع مثل ما دفع المشترى ليستخلص نفسه ويبرئ ذمته، ولو لم يكن البيع إلى غير المدين صحيحا لم يقره بل كان يأمر بفسخه وإعادة الحال إلى ما كانت عليه من قبل.

(٢) ما روى عن جابر بن عبد الله أنه سئل عن رجل له دين على آخر فاشترى به غلاما فقال: «لا بأس» فهذا صحابى قد حكم بصحة الشراء بالدين ولم يعلم له مخالف من الصحابة، فدل ذلك على أن جواز بيع الدين والشراء به كان معلوما بينهم [٤].

واحتج المانعون بما يأتى:

(١) أن الدائن لا يقدر على تسليم المبيع للمشترى، لأن الدين شىء يتعلق بذمة المدين، وهى غير مقدورة للدائن، فقد يجحد المدين الدين أو يماطل فى الأداء أو يكون معسرا فيتعذر تخليص الدين منه، وبهذا يكون الدين غير مقدور التسليم كالعبد الآبق والطير فى الهواء، وبيعهما غير جائز لما فيه من المخاطرة فكذا بيع الدين.

---

(١) نيل الأوطار جـ ٥ ص ١٣٣ (٢) نيل الأوطار جـ ٥ ص ١٣٣
(٣) أعلام الموقعين جـ ٢ ص ٩٠ (٤) المحلى جـ ٩ ص ٦

مكتبتنا العربية

(٢) أن الدين مجهول العين حين العقد لا يدرى ما هو ؟ إذ الواجب على المدين أن يؤدى عند حلول الأجل أى شيء مما تنطبق عليه صفة الدين ، وقد يكون ما سيؤديه لم يخلق بعد ، فكان مجهول الوجود والذات معا ، وبيع المجهول منهى عنه لما يؤدى إليه من الخصومة والمنازعة [١] .

تلك أدلة الفريقين ، وقد نوقش ما استدل به المانعون فقيل لهم فى الدليل الأول : إنه لا يقوم حجة إلا فى وجه من لم يشترط ملاءة المدين وإمكان الحصول على الدين ، أما من يشترط ذلك كالمالكية فلا يقوم حجة عليهم ، لأن المدين إذا كان مليئا مقرا بما عليه من الدين كان الظاهر من حاله عدم المماطلة ، فيكون الدين الذى عليه مقدور التسليم مأمون الضياع فلا يكون فى بيعه مخاطرة ، فيفترق عن بيع الآبق والطير فى الهواء ، فلا يصح قياسه عليهما . وقيل لهم فى الدليل الثانى : إن الجهالة المانعة هى التى تفضى إلى الخصومة والمنازعة ، والجهالة بما سيؤديه المدين عند حلول الأجل ليست بهذه الصفة ، لأن الدين معلوم الصفة ، فأى شيء أداه المدين مما تنطبق عليه أوصاف ما فى ذمته يكون مجزئا له مبرئا لذمته ، وليس للدائن أن يطلب منه غير ذلك ، وبهذا تنحسم مادة المنازعة .

أما أدلة المجيزين فقد ناقشها المانعون بأن ما احتجوا به من الحديث لم يصح ، لأن فى إسناده راويا مجهولا ، فقد رواه معمر عن رجل من قريش لم يسمه عن عمر ابن عبد العزيز عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا فهو مرسل [٢] ، وبأن أثر جابر وفتواه قد قال فيه ابن حزم : لا دلالة فيه على ما ذهبوا إليه ، لأنه لم يذكر فيه ما يفيد شروطهم التى اشترطوها فى جواز بيع الدين [٣] .

ونحن إذا أمعنا النظر فى كلا الرأيين تبين لنا أن مذهب المالكية أقربهما إلى الفهم وأولاهما بالقبول لموافقته أصول الشريعة التى ترمى إلى التيسير على المتعاملين ، وقد تأيد هذا بالحديث وهو ـ وإن يكن ضعيفا ـ منجبر بموافقته لأصول الشريعة ، كما تأيد أيضا بأثر جابر وفتواه وهو وإن لم يذكر فيه ما اشترطه المالكية إلا أن هذا مما يعلم من أدلة الشريعة وقواعدها العامة .

(١) المحلى جـ ٨ ص ٥٠٤ ، جـ ٩ ص ٦ (٢) المحلى جـ ٩ ص ٦ .
(٣) المصدر السابق نفسه .

مكتبتنا العربية

الصورة الرابعة : بيع الدين من غير المدين بثمن مؤجل :

وذلك كأن يكون لشخص على آخر دين قدره عشرون جنيها فيشترى به من ثالث أربعة قناطير من القطن يأخذها منه بعد شهر مثلا ، وقد ذهب الفقهاء إلى فساد البيع فى هذه الصورة محتجين على ذلك بأنه من باب بيع الكالئ بالكالئ الذى ورد النهى عنه ووقع الإجماع على منعه .

وذهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى جواز البيع مستندين إلى قياسه على الحوالة ، فأن فيها بيع دين بدين على شخص آخر وقد ورد الشرع بجوازها ووقع الاتفاق على مشروعيتها ، وبأن فى هذا التصرف مصلحة للعاقدين ، فقد يكون صاحب الدين فى حاجة إلى سلعة من السلع ولا يجد ما يشترى به سوى هذا الدين ، وربما لا تكون هذه السلعة موجودة عند المدين ، وليس هناك من ضرر يلحق بالمدين إذ هو مطالب بإفاء الدين سواء كان ذلك للدائن الأصلى أو لمن يحل محله ، وليس هناك مانع شرعى يمنع من ذلك فيكون جائزا (١)

تلك أدلة الفريقين ، وللباحث أن يناقش الجمهور فى منعهم هذه الصورة بأن دليل المنع إن كان هو ما رووا من النهى عن بيع الكالئ بالكالئ فقد بينا فيما سلف عدم انتهاض هذا الحديث للحجية ، وإن كان الدليل هو ما حكوه من الإجماع فانا نرى فقهاء المالكية قد أجازوا أن يكون الثمن مؤجلا يوما أو يومين إذا كان غير معين والمبيع مضمون فى الذمة ، فان كان الثمن معينا بذاته كدار أو دابة معينة جاز تأخير قبضه أكثر من ذلك ، كما أجازوا استبدال الدين بمنافع شىء معين كأن يكترى به دارا أو دابة معينة ونحو ذلك (٢)

وهذا لا يخرج عن بيع الدين بالدين وإن لم يسمه المالكية بذلك ، إذ المنافع المضمونة فى الذمة دين ، والتأجيل باليوم واليومين كالتأجيل بالاكثر ، وفى هذا دليل على أن الإجماع هنا غير متحقق لوجود المخالفة من فقهاء المالكية ، وحينئذ فلا بأس من ترجيح القول بالجواز .

ابتداء الدين بالدين : يذكر الفقهاء عند الكلام على بيع الدين بالدين صورة تعرف عندهم « بابتداء الدين بالدين » وذلك بأن يبتدئ المتعاقدان التعامل بينهما بدين منهما ، كما لو باع أحدهما قنطارا من القطن موصوفا فى ذمته بثمن معلوم كذلك على أن يتأجل

(١) أعلام الموقعين حـ ٢ ص ٩٠ .

(٢) الخرشى حـ ٥ ص ٢٠٢ ، تهذيب الفروق حـ ٢ ص ١٥٣ .

مكتبتنا العربية

كل من المبيع والثمن إلى أجل معلوم. وقد جرى علماء الشريعة على القول بمنع هذا البيع ، ونقل الإمام أحمد وابن المنذر الإجماع على ذلك حتى أن ابن القيم وشيخه وهما من عرفا بتسامحهما فى بيع الدين لم يسعهما إلا الانضواء تحت راية هذا الإجماع والقول بالمنع بين المانعين ، وقد حمل ابن القيم الإجماع المحكى عن العلماء فى بيع الدين بالدين على هذه الصورة فقط . وقد احتج العلماء على المنع من بيع الدين فى هذه الصورة بما يأتى :

١ — ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم «نهى عن بيع الكالئ بالكالئ» وهو الدين بالدين ، فان الكالئ ماتأخر قبضه ، قالوا : وهذا الحديث و إن لم يكن قد صح إسنادا فاجماع العلماء على وفقه مما يدل على صحته فى الواقع ونفس الأمر ، وكفى باجماعهم مستندا يصلح دليلا للحجية .

٢ — أن فى هذا التصرف شغلا لذمتى البائع والمشترى دون أن يجنى أحدهما فائدة من وراء التعاقد بهذه الصفة ، فلا البائع قد أخذ الثمن حتى ينتفع به فى دفع حاجته ، ولا المشترى قد تسلم المبيع ليقضى به وطره ، وهذا مما يدل على أن كلا المتعاقدين كان فى غنية عن هذه المعاملة أو على أقل تقدير كان غير محتاج إليها حين التعاقد ، و إذا فليس من ضرورة توجب شغل ذمتيهما بشىء هما فى غنى عنه ، فضلا عن أن الأصل فى عقد البيع أن يكون البدلان مقبوضين فور التعاقد ، نفى تأجيلهما معا خروج عن مقتضى الأصل ومخالفة للقواعد العامة ، فاذا لم تكن هناك ضرورة توجب ذلك فلا وجه لهذا الخروج على مقتضى القواعد والعدول عن موافقة الأصول ، فان الضرورات هى التى توجب الاستثناءات أو تبيحها ، وحيث ارتفعت فالواجب السير على نمط القوانين العامة (١) .

هذا ما وجهوا به منع بيع الدين بالدين ، وللباحث أن يناقش ذلك بأن حديث الكالئ بالكالئ لاينهض للحجية لضعفه ضعفا بينا ، وقد أسلفنا كلام الإمام أحمد وغيره فيمن روى هذا الحديث ، فيجب أن يخرج ذلك الحديث عن دائرة الاحتجاج ، و بأن دعوى عدم الفائدة من مثل ذلك التعامل غير مسلمة ، فان التجار والصناع كثيرا ما يتنافسون فى تصريف بضائعهم أو الحصول عليها ، فلو أراد صانع أن يضمن تصريف بضاعته فانه يتفق مع أحد التجار على أن يبيع له كمية معلومة و يتسلم الثمن منه عند تسليم

(١) أعلام الموقعين جـ ٢ ص ٩٠ وما بعدها .

مكتبتنا العربية

البضاعة إليه ، وقد يكون التاجر نفسه فى حاجة إلى نوع من البضاعة ينتجه مصنع معلوم وليس لديه المال الذى يدفعه ثمنا لهذه البضاعة وهو يخشى إن انتظر حتى يتيسر له الثمن أن يسبقه غيره إلى شراء منتجات المصنع فيحتكرها على الناس و يغلى أسعارها عليهم ، فلهذا نرى التاجر المحتاج إلى البضاعة يسرع بالذهاب إلى صاحب المصنع فيشترى مايريد من البضائع على أن يتسلمها منه بعد أجل و يدفع الثمن إليه عند تسلمها ، فهذا التعاقد بين الصانع والتاجر قد حصل فيه الاتفاق منهما على تأجيل المبيع والثمن مع استفادتهما جميعا منه ، إذ ضمن الصانع تصريف بضاعته وضمن التاجر الحصول عليها بثمن متهاود ولم يرهق بأدائه حين التعاقد ، فلم يبق بعد هذا محل للقول بأن هذا التعامل خلو من الفائدة .

وعلى هذا فانه لم يعد هناك من حجة يستند إليها المنع إلا ما حكى من الإجماع على ذلك ، ولو أريد التخلص من هذا الإجماع ههنا لما وجد أحسن مما قال به فقهاء المالكية ، من أن بيع السلم الذى يتأجل فيه المبيع إلى نصف شهر فأكثر يجوز أن يكون ثمنه مؤجلا أيضا ، غير أنه إن كان تأجيله مشترطا لم يجز التأخير أكثر من ثلاثة أيام ، و إن كان تأجيله غير مشترط جاز التأخير أكثر منها [١] ، وعلى كلا الحالين فقد وقع التعامل بالدين من الطرفين و إن لم يسموه بيع دين بدين ، فان الواقع من حقيقة أمره هو شغل ذمتى المتعاقدين ، والتسمية لاترفع من الواقع شيئا . و بهذا يتبين أن الإجماع الذى نقل فى بيع الكالئ بالكالئ لاينطبق على هذه المعاملة التى نحن بصددها ولا يتحقق فيها ، و إنما يراد به أمر آخر غير ذلك ، وهو أن يكون البدلان من الأموال الربوية ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الغائب بالناجز منها وحرم بيع بعضها ببعض إلا يدا بيد ، فلا يصح فيها بيع غائب بغائب ، لأنه يكون بيع الدين بالدين الذى وقع الإجماع على منعه .

وعلى هذا فالذى نراه أن شغل الذمتين من الطرفين فيما عدا الأموال الربوية لا بأس به ، وقد عهد فى الشريعة جوازه فى الإجارة والكراء والجعالة وغيرها ، إذ يجوز أن يستأجر الإنسان غيره على عمل خاص أو يكترى دابة ثم يسلم الأجرة عند نهاية العمل ، فقد اشتغلت ذمة المتعاقدين : أحدهما بالعمل الذى التزم القيام بأدائه والآخر بالمبلغ الذى يدفعه فى نظيره ، وهكذا فى الجعالة والمزارعة .

و إذا فلا نرى بأسا من جواز هذا النوع من التعامل ما لم يتضمن من المفاسد المحرمة كالربا والغرر والمخاطرة ، وعلى الجملة فانه يشترط أن يراعى فيه الشروط التى أسلفنا ذكرها فى بيع الدين [٢] .

---

(١) الخرشى ج ٥ ص ٢٠٢ (٢) رسالة فى البيوع المنهى عنها للأستاذ عبد السميع إمام .

مكتبتنا العربية

بيع الدين فى القانون : ـ

يجيز القانون المدنى بيع الديون بدون قيد ولا شرط ، ولما كان بيع الديون فى القانون يتمثل معظمه فى بيع « الكمبيالات » و بيع « السندات » فسنعرض لبيان كل نوع على حدة .

(ا) بيع الكمبيالات : ـ كثيرا ما يجرى التعامل بين التجار والمنتجين بثمن مؤجل فى أغلب الأحوال حتى يتمكن المشترى من الحصول على الثمن فى مدة الأجل ، وفى هذه الحالة يأخذ البائع وثيقة بحقه تسمى « كمبيالة » ، وكثيرا ما يحتاج الدائن إلى الحصول على المال ، وهنا قد يعمد إلى مصرف من المصارف لبيع هذه الكمبيالة ، وقد جرى العمل فى مثل هذه الحالة أن يدفع المصرف قيمة الكمبيالة قبل موعد استحقاقها مع خصم مبلغ منها يساوى فائدة القيمة من وقت البيع إلى ميعاد الاستحقاق على أساس نسبة مئوية خاصة ، فمثلا لو أن لدائن « كمبيالة » بمبلغ مائة جنيه على أحد الأشخاص وموعد سدادها بعد ستة أشهر وأراد بيعها للمصرف من حين تحرير الكمبيالة فان المصرف يعمد إلى فائدة المائة فى هذه المدة وهى جنيهان مثلا فيخصمها من المبلغ ثم يعطى البائع الباقى نقدا وهو ثمانية وتسعون جنيها ، وقد يلجأ المصرف إلى هذه العملية نفسها فيأخذ ما عنده من الصكوك التى اشتراها و يبيعها إلى مصرف آخر وهكذا .

و إذا أردنا الوقوف على حكم هذا التصرف من الناحية الشرعية وجدنا أنه يقوم على أساس بيع الدين بثمن معجل مع التفاوت بينهما فى القدر ، فأن كان الدين والثمن من الأموال الربوية كما هو واضح من هذا المثال فهو ممنوع فى نظر الشريعة لما فيه من الربا ، إذ أن المصرف يدفع قليلا ليقبض أكثر منه بعد مدة ، وقد بينا فيما سلف أن من شروط بيع الدين ألا يؤدى إلى محظور شرعى ، ومن المحظورات الشرعية اشتمال عقد البيع على الربا بنوعيه : التفاضل أو النساء ، وهما متحققان فيما معنا من المثال المذكور .

وعلى هذا النمط يجرى الحكم فى بيع الكمبيالات العرفية بين الأفراد بعضهم لبعض ، وهو ما يعرف بينهم بتحويل الكمبيالة . ولو فرضنا أن المدفوع فى السند من غير جنسه كما لو كان الدين نقدا فبيع بثوب أو عقار أو نحوهما كان البيع جائزا على ما سبق ترجيحه .

(ب) بيع السندات ـ : قد تحتاج بعض الشركات والهيئات الحكومية والجمعيات العمومية إلى اقتراض مبلغ كبير من المال لترده بعد أجل طويل ولا تجد من يسلفها ما تحتاج إليه نظرا لضخامته وبعد أجله ، فتلجأ إلى اقتراض المبلغ من الجمهور عن طريق الاكتتاب فى القرض ، فتجزؤه إلى أجزاء صغيرة تصدر بها سندات على نفسها وتجعل لها فائدة سنوية

مكتبتنا العربية

ثابتة ، وعند نهاية الأجل ترد قيمتها إلى أصحابها ، وعلى هذا فالسند يمثل جزءا من قرض يدفعه أحد المكتتبين للشركة أو للحكومة أو للهيئة المصدرة ويأخذ به صكا مثبتا لدينه ، ويطلق لفظ السند أيضا على هذا الصك .

وقد جرى القانون على جواز تداول السندات والتصرف فيها وانتقال ملكيتها من يد إلى أخرى من غير قيد ولا شرط .

وإذا أردنا معرفة حكم الشريعة فى بيع السندات وتداولها فأننا نجد أن بيعها للافراد يتضمن (١) بيع الدين لغير من عليه الدين (٢) بيع الشيء إذا كان المقصود من شرائه غرضا محرما وهو هنا الفائدة الربوية (٣) شراء دين مشروط فيه تأجيله إلى وقت معلوم (٤) بيع الأموال الربوية مع عدم التقابض (٥) بيع الدين بأقل أو أكثر منه .

أما بيع الدين لغير من عليه الدين فقد قدمنا ترجيح رأى القائلين بالجواز من الفقهاء .

وأما بيع الشيء إذا كان المقصود من شرائه غرضا محرما ، فلا يؤثر على البيع بالفساد بل البيع صحيح ، وذلك لأن المعصية ليست فى نفس البيع ولا فى نفس المبيع وهو الدين ، وإنما المعصية فى أخذ الفائدة نفسها ، بناء على أنها ربا أو قرض جر نفعا ، وهذا أمر وراء البيع والمبيع ، وهذا تخريج على ما ذهب إليه الحنفية من أنه لا بأس ببيع العصير ممن يعلم أنه يتخذه خمرا .

أما انتقال الدين إلى المشترى محملا بشرط التأجيل إلى أجل معلوم فلا ضير فيه . لأن اشتراط التأجيل فى الأصل جائز ولازم على رأى الإمامين : مالك بن أنس والليث بن سعد ، وإذا كان لازما فى الابتداء فيكون لازما فى البقاء لقبول المشترى ذلك ضمنا فى عقد الشراء .

أما بيع السند بالنقود من غير تقابض فمن الممكن أن يقال إن العرف يعتبر تسليم السند وقت البيع قبضا للدين المبيع فى المعنى أو يقال إنه نائب مناب قبض الدين فيتحقق التقابض بناء على ذلك .

أما بيع الدين بأقل منه أو أكثر فلا يمكن تخريج ذلك على وجه صحيح شرعا لتحقق الزيادة فى جانب أحد الطرفين من غير عوض ومقابل وذلك ربا ، أما إذا كان البيع بقيمة الدين نفسه فذلك جائز ، ولا تأثير لأخذ الفائدة على العقد ، وكل تأثيرها أنه يحرم أخذها والانتفاع بها . والله الهادى إلى سواء السبيل ، وهو أعلم بالصواب ؛

عيسوى احمد عيسوى
المدرس بكلية حقوق عين شمس

مكتبتنا العربية

سابق الحبشـــــة

معنيان جليـــلان

هذا رجل كريم من رجالات الإسلام الذين يعتز بهم ، رفعه الإسلام كما رفع غيره من الموالى والأرقاء ، ووصفه النبى صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه من الأثر بأنه « سابق الحبشة » ، وكيف لا يكون سابقهم وقد سبق الناس إلى الإسلام ، وسبقهم إلى الاستماتة فيه ، وسبقهم إلى التضحية بكل غال فى سبيله حتى النفس يبذلها فى سبيل الله وابتغاء مرضاته .

إنه رجل يتصل به معنيان جليلان من معانى الإسلام ، وما أفخمها وأعظمها وأحراها أن تجعله الدين الخالد الشامل الذى لا يجحد به إلا كل ختار كفور .

المعنى الأول : المساواة بين الناس على اختلاف صنوفهم وأجناسهم : عربيهم وعجميهم ، غنيهم وفقيرهم ، حسيبهم وغير حسيبهم ، سيدهم ورقيقهم ، حتى تكون التقوى والخلق الفاضل والعمل الصالح هى التى تفاضل بينهم وترفع بعضهم فوق بعض درجات ، كما رسم ذلك القرآن الكريم فى قوله عز اسمه : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » .

ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى المحكم حتى آخر لحظات حياته ، وفى أجمع توصياته ، فى حجة الوداع إذ يقول : « أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » ويقول : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها . يا فاطمة يا بنت محمد ، اعملى ، لا أغنى عنك من الله شيئا . يا عباس يا عم محمد ، اعمل ، لا أغنى عنك من الله شيئا » .

ولقد ولى النبى صلى الله عليه وسلم بلالا الحبشى المولى المدينة وفيها وجوه العرب والأشراف عندهم وكبار الصحابة والتابعين ، كما ولى أسامة قيادة الجيش وفيه أبو بكر وعمر .

مكتبتنا العربية

ولقد عير أبو ذر الصحابى الجليل قبل أن يعلم مبدأ الإسلام العظيم ـ وإنما العلم بالتعلم ـ عير بلالا كما كان يعيره أهل الجاهلية بأمه الأمة السوداء الحبشية « حمامة » وقال له : يابن السوداء ، كما كانوا يقولون . فقال له صلى الله عليه وسلم : أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية . ثم أوضح للناس ذلك المعنى الخالد بما يشرح صدر كل مسلم و يزيده إيمانا بدينه فقال : « إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم . فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، وإن كلفتموهم فأعينوهم . فان الله ملككم إياهم ، ولو شاء لملكهم إياكم » . ولما قالها صلوات الله عليه وضع أبو ذر خده على الأرض وحلف ألا يرفعه حتى يطأه بلال .

لقد أدب الله سبحانه المسلمين ذلك الأدب فدانت لهم الرقاب ، وخضعت لهم العباد ، انقيادا لتلك المبادئ الفخمة التى لاتعرفها إلا السماء ، ثم المسلمون الرحماء .

وبهذا تأدب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ قال فى سموه الإسلامى : أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا . يريد بلالا هذا الذى عنيناه بالحديث اليوم . ثم قال لسعد ابن أبى وقاص وقد شيعه إلى القادسية : ياسعد ، لايغرنك أن يقال : خال رسول الله ، أو صاحب رسول الله ، فان الناس فى دين الله سواء ، يتفاضلون عنده بالطاعة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

و ياليت شعرى أيها القارئ الكريم ، لو لم يكن خلق المساواة من أخلاق الإسلام ماذا كان يصيب المسلمين من ضعف وانحلال كما أصابهم بعد أن غيروا وبدلوا .

ونحن الآن نتفاءل بالخير العظيم لمصر ، فقد تبدلت سياسة التفرقة بين الناس ، وأصبح الحاكم لايرى إلا الكفايات والأخلاق ، لا الشفاعات والأحساب ، مما يبشر بالبقاء ، والرفعة والسناء ، والحمد لله الذى بنعمه تتم الصالحات .

أما المعنى الثانى : الذى يتجلى فى بلال العظيم فهو خلق الإيمان والصبر ، وإيثار الله والدار الآخرة . ذلك أمر أنبته الله فيه ، ومعنى جبله القدر المحسن عليه وهو فى حداثته . وذلك المعنى رأس الإسلام ، وسر رضوان الله ورعايته ، والمرمى البعيد العسير على نفوس الدهماء ، والمرام المعتاص على غير نفوس الصديقين والأنبياء . فقد جبلت النفوس على حب الشهوات والاسترواح بالمرافق ، والارتماء فى أحضان الدعة والاسترخاء ، فأما الجهاد واحتمال المكاره ، وأما الجلاد الشاق لإدراك العظائم ، وأما استقبال البلاء

مكتبتنا العربية

المضنى، وركوب الكره على الكره ولو فى سبيل المجد، فشىء تأباه النفوس وتنفر منه الطباع. وهو الخير كل الخير والعز كل العز. وما نوهت الأديان ولا مجد الشعراء والحكماء شيئا تنويههم بذلك المعنى العظيم، لما يتبعه من النجح والظفر، والمجد والنصر، والسمو كل السمو (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا - حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات).

تريدون إدراك المعالى رخيصة ولابد دون الشهد من إبر النحل

وقد كان بلال فى هذا المعنى بالمحل الأول والموضع الذى لايجهل، كان مضرب الأمثال وعبرة الأجيال، كان إيمانا يمشى فى الأسواق، وجهادا فى سبيل المجد والسؤدد يتردد فى الآفاق، لقد جاء الإسلام فكان فى أول الداخلين، حتى قيل بدأ الإسلام برجل وامرأة وصبى وعبد، فكان الرجل أبا بكر والمرأة خديجة والصبى عليا والعبد بلالا. وكان من جهر بالإسلام وأظهره، فكان أولهم برغم أنه عبد لأمية بن خلف، والعبد لسيده لايتصرف إلا عن أمره وحكمه، ولم يكن أمية ككل السادة ولكنه كان جبارا فى الأرض ولم يكن من المصلحين.

وقد كان من المعذبين مع بلال بعض المستضعفين من المسلمين أول الأمر حتى شمل الإيذاء جميع المؤمنين بعد ذلك فأمروا بالهجرة، على أن بلالا كان صاحب النصيب الأوفى من البلاء، فما لجأ إلى التقية أبدا، ولا وقف إلا مواقف الصلابة والصراحة والعناد، فهو يقول كلما زاده أمية تعذيبا وأمره أن يذكر اللات - هذا الذكر الكريم يلهج به ويأبى أن يقول غيره: «أحد، أحد» وكان يمر به ورقة بن نوفل فيقول: نعم. أحد، أحد، والله يابلال. ثم يلتفت إلى الجبابرة فيقول لهم: والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا - يريد البركة به عند قبره كما يعرف أهل الكتاب.

لقد طال عذاب الشقى عدو الله أمية عبده بلالا بأقسى أنواع التعذيب، وتعهده بكل ما يستطيع من التنكيل، فهو يطرحه على بطنه فى حر الرمضاء تارة وعلى ظهره أخرى، ويذهب به يمنة ويسرة وقبولا ودبورا. وهو يحمى له الدرع الحديدية فى تلك الرمضاء ويلبسه إياها، وهكذا يمارسه مرة ويأمر به مرة حتى يمل. فاذا هدأ عاود الكرة. ولقد أدال الله له وأظفره به فى غزوة بدر بعد أن كاد ينجو فى كتف عبد الرحمن بن عوف،

مكتبتنا العربية

ولكن بلالا الرجل الكريم الرفيع لحق به وحرض عليه وهو يقول : هـذا عدو الله أمية ابن خلف ، لانجوت إن نجا . فلحقوه ومزقوه ، وكان يسهم معهم . وقالوا : إن أبا بكر هناه بذلك فقال له :

هنيئا زادك الرحمن خيرا لقد أدركت ثأرك يابلال

على أن الله سبحانه كان قد كتب لبلال رحمة من أمية ، فاشتراه أبو بكر بعد إشادة السيد الرسول صلوات الله عليه بذلك على ما بين فى كتب السير ، ثم أعتقه أبو بكر فخف عنه بعض ما يلقى من التعذيب ، ورحمة الله قريب .

هذا ما كان من بلال ، على أن غيره من خيرة المسلمين كان ربما أجرى كلمة الكفر على لسانه وقلبه مطمئن بالإيمان كعمار بن ياسر ، ولما قيل : يا رسول الله ، إن عمارا كفر قال : كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإسلام بلحمه ودمه ، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى فجعل صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول : مالك ؟ إن عادوا لك فعد لهم بمثل ما قلت . وأما أبو قيس بن المغيرة والوليد بن الوليد بن المغيرة وغيرهما فقد ارتدوا إيثارا للدعة والراحة فكانوا من الأسفلين . ولقد ألف بلال هذا المعنى الذى نبت فى نفسه واستعذبه ، حتى لم يتخلف عن غزوة إلا واحدة استخلفه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ، وحتى ترك شئون الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب إلى الشام مجاهدا حتى توفاه الله .

* * *

هذا هو الإسلام فى بعض رجاله الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، لم يصرفه عن الحق شىء مهما كانت منزلته . وهـذه هى الرجال فى الإسلام الأول الصحيح الذى دخل إلى تلك القلوب فملأها بالعلم والهدى فى قوم رسموا لمن بعدهم كيف يسيرون على الجادة ، « ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » .

ثم هـذا هو بلال العبد الحبشى الذى خفضته الجاهلية فعيرته بأمه الأمة السوداء ، فرفعه الإسلام حتى تسنم العلياء ، وجعل منه صحابيا جليلا من أصحاب محمد أثيرا عنده يقدمه على وجوه العرب وأعيانها ويرشحه لمعالى الشئون وعظائمها .

مكتبتنا العربية

ولادة بلال ونشأته :

ولد بمكة من أبويه الحبشيين : رباح أبيه وحمامة أمه ، ومكة تتصل بالحبشة فى شئون تؤدى إلى الرحلة من هنا إلى هناك ومن هناك إلى هنا .

وكانت ولادته قبل الهجرة بثلاث وأربعين سنة وقبل البعثة المحمدية بثلاثين سنة ، وقضت ظروفه أن يكون عبدا لأمية بن خلف وفى خدمته وهو من أئمة الكفر ومن شر المقاومين لدعوة الإسلام الكريم . وقد رأيت أن بلالا كان فى أوائل المسلمين برغم ذلك كله ، وأن عدو الله أمية ما زال يعذبه وينكل به حتى أعتقه الله منه على يد أبى بكر ، ولم تكن هذه أولى أيادى أبى بكر ، فقد أعتق كثيرا غيره بعد أن اشتراه ، على أنه مازال يعذب كما يعذب غيره من المسلمين حتى أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهاجر إلى المدينة ، فهاجر إليها مع الطبقة الثانية التى خرج فيها هو وعمار وسعد بن أبى وقاص وعبدالله ابن مسعود . على أن صفاء فطرته وسلامة نفسه كانت تدعوه إلى الحنين إلى مكة كما كان يحن إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والخيرة ، وكانت تأخذه وعكة الحمى بالمدينة فيقول كما صح عنه يذكر أماكن كان يعهدها :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بفخ وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لى شامة وطفيل

ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لزمه بلال خادما أمينا لا يفارقه فى سفر ولا حضر ، يضرب له القباب والخيام ، ويظلله من الشمس ، ويتولى طعام الجيش ، ويقسم الغنائم ، ويوزع الجوائز ، لا يغفل طرفة عين عن رعاية النبى صلى الله عليه وسلم وتولى أمره ، وضم له رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك مجادة كريمة ، فجعله مؤذنه على الصلوات لجهارة صوته ، ونداوة جرسه ، فكان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى . وكان لا يقيم الصلاة حتى يحضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا تأخر آذنه بها : يارسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح . الصلاة يارسول الله ، حتى يحضر . وكان للنبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة غيره يؤذنون كما بسط ذلك فى كتب السير والأحاديث .

مكتبتنا العربية

وبعد ـ فان ذكر بلال لا يزال يتردد فى كتب الأخبار والسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما فى رحلاته وأسفاره وغزواته مؤذنا يغيظ به الكفار ، ويقر به أعين الأصحاب والأنصار ، ومتوليا للجيش فى طعامه وشرابه وغنائمه ، وموزعا للجوائز فى وفوده ، فأما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عزف عن الدنيا وما فيها وترك كل شىء حتى الأذان الذى كان كلما أراده فقال : وأشهد أن محمدا رسول الله خنقته العبرة وأخذه الإجهاش . واستأذن أبا بكر أن يسافر إلى الشام غازيا ومجاهدا فى سبيل الله فأراد أن يستبقيه لنفسه فقال : يا أبا بكر إن كنت أعتقتنى لنفسك فاستبقنى ، وإن كنت أعتقتنى لله فدعنى لله . وهكذا قوة الإيمان وصراحته . ثم سافر وهو فى حدود الستين ، يجاهد فى فتوح الشام مع المجاهدين ، حتى كانت وفاته وهو فى حدود السبعين من عمره الشريف ، ولما كان فى سكرات الموت كانت زوجه تقول : واكرباه ، فيقول لها : بل واطرباه ، غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه .

العبرة :

هذه نفس كريمة رفعها الإسلام حتى قال فيها عمر : أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا ، على أن الجاهلية كانت تزدريها وتضطهدها . هذه نفس تمثل فيها معنى السؤدد الإسلامى ، وتجلى فيها عمق الإيمان وسموه مع الفقر والخلو من كل حسب إلا التقوى والخلق الفاضل وإيثار الحق . وهذا إنسان قدمه الناس لدينه إماما لهم واتخذوا منه قدوتهم ، فهل آن لنا أن نحسن مقاييس الأشياء ومعايير الناس ؟ . لقد جعلت جمهوريتنا الكريمة أول معاييرها أن تقيس الناس بأعمالهم وأن تجعل درجاتهم ومنازلهم على مقدار الإخلاص للواجب والحق والانتاج الصالح للوطن ، والتقدم بالأعمال تنفع الناس وتعلى شأن الوطن ، فالفلاح للعاملين المخلصين والسبق للأفاضل المنتجين ، مما جعل أهل الحق يتفاءلون جميعا بالمجد المطرد ، ويرقبون أن تكون مصر على القمة قبل كل أحد . وهذه مظاهر الرفعة والسؤدد تتجدد كل يوم على يد زعيم مصر والشرق . فهل نحن محافظون على ذلك ؟ . وهل نحن متعاونون على تحقيقه . ؟ عند الله التوفيق سبحانه ؟

محمود السواوى

مكتبتنا العربية

بحـــــوث

فى مصادر الشريعة النظرية

— ٤ —

أركان القياس وشروطه :

وللقياس عند القائلين به أركان لايتحقق بدونها، وشروط لايكون صحيحا إلا بتوافرها، أما أركانه فأربعة وهى :

١ — الأصل وهو : ما ثبت فيه الحكم بالنص أو الإجماع ، ويسمى المقيس عليه والمشبه به .

٢ — الفرع وهو : مالم يرد بحكمه نص ولا إجماع ، ويسمى المقيس أو المشبه .

٣ — حكم الأصل وهو : الحكم الشرعى الثابت للأصل ، ويراد تعديته إلى الفرع بطريق القياس .

٤ — العلة وهى : المعنى الذى لأجله شرع الحكم فى الأصل .

أما الحكم الذى يثبت فى الفرع فهو ثمرة القياس ونتيجته ، وليس ركنا من أركانه ولا شرطا من شروطه .

وأما شروط القياس فهى كثيرة ومتنوعة ، بعضها يرجع إلى حكم الأصل ، وبعضها يرجع إلى الفرع ، وبعضها يرجع إلى العلة .

ولما كانت العلة أهم أركان القياس ، ومبحثها من أعظم مباحث الأصول وأصعبها ، وكان للأصوليين فيها كلام طويل وبحوث ضافية ، وفى بعضها مخالفة لما جاء فى الكتاب والسنة ، وما جرى عليه أئمة المذاهب الفقهية المعروفة ، مع أنهم يذكرون فى كتبهم الأصول التى سار عليها أولئك الأئمة فى الاجتهاد وتفريع المسائل الفقهية .

لهذا كله رأيت أن أتكلم عليها بشىء من التفصيل من غير تعرض لغيرها من الأركان والشروط اكتفاء بما كتبه فيها المؤلفون فى علم الأصول ، وسأجعل الكلام فيها مقصورا على الأمور الآتية :

تعريفها ، الفرق بينها وبين الحكمة ، رأى الأصوليين فيما يصح التعليل به لأجل

مكتبتنا العربية

القياس وما لا يصح ، بيان ما فى هذا الرأى من موافقة أو مخالفة لمسلك الأئمة فى ذلك ، الشروط المعتبرة فى العلة ، مسالك العلة .

تعريف العلة :

العلة فى اللغة : اسم لما يتغير حال الشيء بحصوله فيه ، ومن هذا سمى المرض علة لأن الجسم يتغير حاله بحصوله فيه . يقول الغزالى فى شفاء الغليل : العلة فى الأصل ما يتأثر المحل بوجوده ولذلك سمى المرض علة (١) .

وفى لسان أهل الاصطلاح تطلق على أمور ثلاثة :

الأمر الأول : الثمرة والمصلحة التى تترتب على تشريع الحكم ، كحفظ الأنساب من الاختلاط المترتب على تحريم الزنا ووجوب الحد به ، وحفظ العقول المترتب على تحريم الخمر ووجوب الحد بشربه ، وحفظ الأرواح المترتب على تحريم القتل العدوان ووجوب القصاص به ، وحفظ الأموال المترتب على تحريم السرقة ووجوب قطع يد السارق والسارقة ـ ، حصول المنفعة لكل من المتبايعين المترتب على إباحة البيع و إجازته ، ودفع الحرج والمشقة المترتب على إباحة الفطر فى رمضان للمسافر والمريض .

الأمر الثانى : المعنى المناسب لتشريع الحكم ، وهو ما يترتب على الفعل أو ما يكون فيه من نفع أو ضرر أو مشقة ، فيناسب الأمر به أو المنع منه أو إجازته والترخيص فيه ، وذلك كاختلاط الأنساب المترتب على الزنا المناسب لتحريمه ووجوب الحد فيه ، وذهاب العقول المترتب على شرب الخمر المناسب لتحريمه ووجوب الحد على من يتناوله ، وإهدار الدماء وضياع الأرواح المترتب على القتل العدوان المناسب لتحريمه ووجوب القصاص على القاتل المعتدى ، ومنفعة المتبايعين المترتبة على البيع المناسبة لإباحته و إجازته ، والمشقة الموجودة فى السفر والمرض المناسبة لجواز الفطر وقصر الصلاة الرباعية فى السفر وأداء الصلاة على الوجه المستطاع فى المرض .

الأمر الثالث : الوصف الظاهر المنضبط الذى يشتمل على المعنى المناسب ، على معنى أن وجوده مظنة لوجوده ، وعدمه مظنة لعدمه ، وذلك كالزنا فانه أمر ظاهر منضبط يشتمل على المعنى المناسب وهو اختلاط الأنساب وضياع النسل ، وكالسرقة فانها أمر ظاهر منضبط يشتمل على المعنى المناسب لتشريع الحكم وهو ضياع الأموال ، وكالبيع

(١) انظر نبراس العقول فى القياس ص ٢١٦ .

مكتبتنا العربية

فانه أمر ظاهر منضبط يشتمل على المعنى المناسب لتشريع الحكم وهو نفع كل من المتبادلين، وكالسفر فانه وصف ظاهر منضبط يشتمل على المعنى المناسب لتشريع الحكم وهو المشقة.

هذا هو ما يطلق عليه اسم العلة فى اصطلاح العلماء على مايؤخذ من عباراتهم وكلماتهم المنقولة عنهم فى مواضع مختلفة، فهم يقولون: إن علة تحريم الزنا هى حفظ الأعراض من الانتهاك والأنساب من الاختلاط، أو هى انتهاك الأعراض واختلاط الأنساب، أو هى نفس الزنا، ويقولون: علة إباحة الفطر فى رمضان للمسافر هى دفع المشقة والحرج، أو هى المشقة التى فى السفر، أو هى نفس السفر، كما يقولون: علة جواز البيع هى قضاء حاجة النـاس ودفع الحرج عنهم لو لم يتبادلوا، أو هى حاجة النـاس إلى تبادل الأملاك ونفعهم من هذا التبادل، أو هى نفس البيع.

ويطلقون على كل من المعنى المناسب والمصلحة المترتبة على تشريع الحكم اسم الحكمة أيضا، ولـكن علماء الأصول ـ فيما بعد ـ خصوا الوصف الظاهر المنضبط باسم العلة، وسموا المصلحة التى تترتب على تشريع الحكم بالحـكمة أو مقصد الشارع من التشريع وهو ما يعرف عند المتكلمين بالعـلة الغائية، وسموا المعنى المناسب لتشريع الحـكم بالحـكمة فقط، فاذا أطلقت كلمة العلة فالمراد بها عندهم الوصف الظاهر المنضبط المشتمل على المعنى المناسب وهو ما يترتب على تشريع الحكم عنده تحقيق مصلحة مقصودة تعود على العباد بجلب نفع لهم أو دفع ضرر عنهم، وإن قالوا عنه إنه علة مجـازا لأنه ضابط للعلة الحقيقية التى هى المعنى المناسب أو المصلحة التى تترتب على تشريع الحكم.

وإذا أطلقت كلمة الحـكمة فالمراد بها عندهم أحد أمرين:

الأمر الأول: المعنى المناسب لتشريع الحكم كاختلاط الأنساب فى الزنا، والمشقة فى السفر، وحاجة الناس إلى التبادل فى البيع.

والأمر الثانى: المصلحة المترتبة على تشريع الحكم كحفظ الأنساب المترتب على تحريم الزنا، ودفع المشقة المترتب على إباحـة الفطر فى رمضان للمسافر، ودفع الحرج والضيق المترتب على جواز البيع [١].

(١) راجع التوضيح وحاشية سعد الدين التفتازانى عليه حـ ٣ ص ٦٢، ٦٣، التحرير مع شرح التيسير حـ ٣ ص ٣٠٢، ٣٠٣، وتقرير المحقق المرحوم الشيخ عبد الرحمن الشربينى المطبوع بهامش شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع حـ ٢ ص ٣٥٣ وسلم الوصول للمرحوم الشيخ محمد بخيت حـ ٤ ص ٣٦٠، ٣٦١ وتعليل الأحكام للأستاذ محمد مصطفى شلبى ص ١٣

مكتبتنا العربية

هذا هو ما استقر عليه اصطلاح الأصوليين كما يؤخذ من كتبهم المختلفة ، ولم يخالف فى ذلك إلا الإمام الشاطبي فقد وجدناه فى كتابه « الموافقات » يقول : أما السبب فالمراد به ما وضع شرعا لحكم لحكمة يقتضيها ذلك الحكم ، كما كان حصول النصاب سببا فى وجوب الزكاة ، والزوال سببا فى وجوب الصلاة ، والسرقة سببا فى وجوب القطع ، والعقود أسبابا فى إباحة الانتفاع أو انتقال الأملاك وما أشبه ذلك .

وأما العلة فالمراد بها الحكم والمصالح التى تعلقت بها الأوامر أو الإباحة والمفاسد التى تعلقت بها النواهى . فالمشقة علة فى إباحة القصر والفطر فى السفر ، والسفر هو السبب الموضوع سببا للاباحة ، فعلى الجملة العلة هى المصلحة نفسها أو المفسدة لا مظنتها كانت ظاهرة أو غير ظاهرة ، منضبطة أو غير منضبطة ، وكذلك تقول فى قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يقضى القاضى ، وهو غضبان » فالغضب سبب ، وتشويش الخاطر عن استيفاء الحجج هو العلة ، على أنه قد يطلق هنا لفظ السبب على نفس العلة لارتباط ما بينهما ، ولا مشاحة فى الاصطلاح [١] .

فهذا الكلام صريح فى أن الإمام الشاطبى له اصطلاح فى العلة يخالف اصطلاح الأصوليين حيث سمى ما جعلوه علة سببا ، وسمى ما جعلوه حكمة علة ، ثم يقول : إن المسألة اصطلاح ولا مشاحة فى الاصطلاح .

إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نتكلم على رأى الأصوليين فيما يجوز تعليل الحكم به لأجل القياس وما لا يجوز وهو ما نبينه فيما يلى :

رأى الأصوليين فيما يجوز التعليل به لأجل القياس :

من يتتبع كلام الأصوليين فى بحوث العلة يجدهم يتفقون على جواز التعليل بالوصف الظاهر المنضبط المشتمل على الحكمة ، وهو ما يكون مظنة لها وأن بناء الحكم عليه من شأنه أن يحققها ، يقول الآمدى فى الإحكام : « إن الإجماع منعقد على صحة تعليل الأحكام بالأوصاف الظاهرة المنضبطة المشتملة على احتمال الحكم كتعليل وجوب القصاص بالقتل العمد العدوان لحكمة الزجر أو الجبر ، وتعليل صحة البيع بالتصرف الصادر من الأهل فى المحل لحكمة الانتفاع ، وتعليل تحريم شرب الخمر وإيجاب الحد به لحكمة دفع المفسدة الناشئة منه ونحوه [٢] ويقول الشوكانى فى كتابه « إرشاد الفحول » : واتفقوا على جواز التعليل بالوصف المشتمل على الحكمة أى مظنتها بدلا عنها » [٣] .

---

(١) الموافقات حـ ١ صـ ٣٦٥ طبع المكتبة التجارية .

(٢) الإحكام للآمدى حـ ٣ ص ١٢ ، ١٣ . (٣) إرشاد الفحول ص ١٨٢ .

مكتبتنا العربية

ويختلفون فى التعليل بالحكمة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : منع التعليل بها مطلقا ظاهرة كانت أو غير ظاهرة ، منضبطة أو غير منضبطة ، وهذا القول منسوب لأكثر الأصوليين ، كما فى الإحكام للآمدى .

القول الثانى : جواز التعليل بها مطلقا ، وهو الظاهر من كلام الإمام الرازى والبيضاوى .

القول الثالث : جواز التعليل بها إن كانت ظاهرة منضبطة ، ومنع التعليل بها إن كانت خفية أو مضطربة ، وهذا القول هو المختار للآمدى [١]

ولكل منهم أدلة على ما ذهب إليه مبسوطة فى موضعها من كتب الأصول . والناظر فى هذه الأدلة وما ورد عليها من مناقشات وإجابات عنها يجد أن الخلاف بينهم إنما هو فى جواز التعليل بالحكمة فقط ، أما التعليل بها بالفعل فانهم متفقون على أنه لم يقع فى الشرع [٢] وعلى هذا يكون التعليل الواقعى عندهم مقصورا على الأوصاف الظاهرة دون الحكم .

ووجهتهم فى ذلك : أن المقصود من العلة معرفة الحكم الشرعى ، وإذا لا بد أن تكون أمرا ظاهرا لا يلتبس على الناس ، منضبطا لا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال . والحكمة لا يتحقق فيها ذلك لأنها - بحسب الاستقراء والتتبع - فى بعض الأحكام تكون أمرا خفيا لا يمكن التحقق من وجوده أو عدم وجوده كالحاجة بالنسبة لشرعية البيع فانها أمر خفى ، إذ لا يدرى فى كل عقد أنه حصل لحاجة أو لغير حاجة ، وفى بعضها تكون أمرا مضطربا غير منضبط كالمشقة بالنسبة لإباحة الفطر فى السفر ، فانها تختلف باختلاف الأشخاص والأماكن والأحوال ، فالملوك المترفون لا ينالهم من المشقة ما ينال غيرهم من الأفراد ، والمشقة فى زمن الصيف غيرها فى زمن الشتاء ، وهى

---

(١) راجع الإحكام للآمدى حـ ٣ ص ١٣ ونهاية السول شرح منهاج الأصول المطبوع بهامش التقرير والتحبير حـ ٣ ص ٨٩ - ٩١ ، وجمع الجوامع مع شرح الجلال المحلى حـ ٢ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، وإرشاد الفحول ص ١٨٢ .

(٢) الإحكام للآمدى حـ ٣ ص ١٣ .

مكتبتنا العربية

فى السهول والوديان أقل منها فى الجبال ، وهى فى ركوب السيارة أو « القطار » أوالطائرة أقل منها فى ركوب الجمال أو الدواب .

وإذا كانت الحكمة خفية فى بعض الأحكام وغير منضبطة فى بعضها فلا يجوز تعليل الحكم بها وبناؤه عليها وجودا وعدما ، بل لا بد من البحث عن أمر آخر يكون ظاهرا منضبطا فى نفسه ، ويكون مشتملا على الحكمة بمعنى أنه مظنة لها ، وأن بناء الحكم عليه من شأنه أن يحققها ، ويجعل هذا الأمر علة الحكم ، ويربط وجوده بوجوده وعدمه بعدمه ، وبذلك يمكن معرفة الأحكام وعللها والقياس عليها ، ومن هنا قرر الأصوليون أن الأحكام الشرعية تدور وجودا وعدما مع عللها لامع حكمها ، على معنى أن الحكم يوجد حيث توجد علته ولو تخلفت حكمته ، وينتفى حيث تنتفى علته ولو وجدت حكمته ، وبنوا على ذلك الأمور الآتية :

١ — أن من كان مسافرا فى رمضان سفرا شرعيا جاز له الفطر وقصر الصلاة الرباعية لوجود علة الجواز ، وهى السفر ، وإن انتفت الحكمة وهى المشقة بأن كان لايجد فى السفر مشقة كالملك المترف .

٢ — وأن من لم يكن مسافرا فى رمضان أو مريضا ومن فى حكمهما لا يباح له الفطر وإن كان يجد من الصوم أقصى مشقة كالخباز والوقاد ونحوهما ، لانتفاء علة الجواز ، وهى السفر أو المرض ، وإن وجدت الحكمة وهى المشقة .

٣ — وأن من كان شريكا فى العقار المبيع أو جارا استحق أخذه بالشفعة لوجود علة هذا الاستحقاق ، وهى الشركة أو الجوار ، ولو لم يحصل للشريك أو الجار ضرر من ذلك البيع وهو الحكمة من تشريع الشفعة .

٤ — وأن من لم يكن شريكا فى العقار المبيع ولا جارا لا يستحق أخذه بالشفعة ، وإن كان يناله من البيع ضرر لسبب من الأسباب وذلك لانتفاء علة الأخذ بالشفعة ، وهى الشركة أو الجوار ، وإن وجدت الحكمة ، وهى الضرر ؛

« يتبع »

زكى الدين شعبان
المدرس بكلية حقوق عين شمس

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

الرجال منهم ، ويجهدون أنفسهم فى تحليلها ، والجرى فيما ترسم من سبل للحياة ، وإن خالفت كل الآداب والتقاليد والتعاليم ، وقد أخضعوا سلوكهم فى الحياة لهذه المذاهب والآراء ، لأنها وافقت الميول والشهوات ، وتجاوبت مع النوازع والملذات .

فترى بعض الشباب ، بل الشيوخ ، وقد تمكنت من نفوسهم الأهواء والأغراض ، وتحكمت فيهم الجهالة ، وران على ضمائرهم ما اكتسبوا من الإثم والفجور ، وصوحت أزاهير البر والخير فى ساحة الوجدان ، وأصبح الناس عبيد الدنيا بمتعها وزخارفها ، وعشاق مدنية غربية مسرفة منحرفة ، وارتفعت الأصوات ـ وهى كثيرا ما ترتفع بين الفينة والأخرى ـ نادبة مولولة : لماذا انفلت العيار ؟

وترسلها احدى الصحف صرخة مدوية ، ويواليها الكتاب وأصحاب الأقلام بآرائهم وأفكارهم ، وتتولى صحف أخرى استهجان هذا المسلك فى معالجة مثل هذا الموضوع على هذا النحو المكشوف المفضوح ، وبخاصة وقد نشرت تلك الصحيفة ـ المعروفة بتهجمها على الآداب والتقاليد الكريمة ـ علاجا لأحد كتابها يرى فيه فتح بيوت الدعارة ، وإباحة الاختلاط بين الشباب من الجنسين ، ليروى ظمأه ، فلا تكثر الحوادث ، ولا يتدخل القانون .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وإن هذه الصيحات التى تصدر اليوم ليست بنت ساعتها ، ولكنها وليدة حياة مضت ، استطاعت إبانها الآراء الفاسدة ، والمظاهر الكاذبة الخداعة ، وخضوع المجتمع المصرى لها ، أن تتربى فى أحضانه ، وأن تنمو فى بيئة تناسبها . فبعد أن كانت أفكارا وخواطر ، أصبحت مبادئ وتعاليم . ثم تحولت إلى الظهور فى السلوك الشخصى ، ثم برزت فى السلوك الجماعى . والآن نصطلى بنارها ، ونستصرخ لعلاجها .

أعلم أن فى مصر قانونا للعقوبات ، واحدى مواده تقرر عقوبة على من يجترئ على سب الدين ، وانتهاك حرماته .

وأعلم أن فى مصر قانونا لحفظ الآداب العامة ، وأعلم أن فى مصر بوليسا للآداب ائما بعمله فى محاربة الرذيلة .

مكتبتنا العربية

ولكننى أقول ـ والأسف يملأ جوانحى ـ لو طبقنا القانون تطبيقا حازما ، وأخذنا الناس جميعا به ، لوقعت الأغلبية تحت طائلة هذا القانون . وما تسطره الصحف والمجلات وهو شيء كثير ، إنما هو ما وقع تحت عين البوليس ، وما وصل منه آذان دور النشر ، أما ما خفى فأكثر وأبشع ، هذه حالنا . فما هو سبيل الإصلاح والعلاج ؟؟

إن المصلح إن أراد أن يعدل بهذه البيئة ـ وحالها كما تعلمون ـ إلى طريق الطهر والعفة والكرامة والعزة ، فلا يمكن أن يكون ذلك عن طريق سن القوانين ، فهذا سبيل محفوف بالمخاطر ، بعيد عن الصواب ، فأن ضحايا القانون والمتمردين عليه آنذاك ستكون الأغلبية العظمى من هذا الشعب المريض المخدوع . كما لا يمكن أن يكون ذلك بنشر الفوضى الخلقية ، وترك الحبل على الغارب .

لقد أفسد الاستعمار نفوسنا ، وغير مفاهيم الأشياء عندنا ، ولكننا والحمد لله أمة لها دينها ، ولها تقاليدها التى ما زال الكثير منها نسمع عنه من شيوخنا ـ آبائنا وأجدادنا ـ وفى هذا الدين وفى هذه التقاليد الكريمة ما نستطيع أن نأخذ منه العلاج للأمة جميعها شبابها وشيوخها ، رجالها ونسائها .

إننا كمسلمين لنا ديننا ، ولنا تقاليدنا ، التى خلقت من التفرق وحدة ، ومن الضعف قوة ، ومن الجبن إقداما ، ومن الميوعة والتحلل عفة وطهرا ، وحزما وكمالا ، ومن البطالة والتسكع جدا وعملا . وإن هذا الشرق ما كان فاقدا للقوة ، ولا متجردا عن أسبابها ، وغاية الأمر أنه قد طرأ صدأ على معدنه الأصيل ، فحال بينه وبين التأثير فى الوسط الذى يحيط به .

والآن وقد انجاب عنه الصدأ ، وزال عنه المانع ، وأطلق له عنان الحرية ، فعليه أن يشق طريقه فى الحياة ، كما فعل أجداده من قبل ، أولئك الذى فتحوا الأمصار ، ونشروا الفنون والعلوم والمعارف فى جميع أقطار الأرض شرقا وغربا .

أقول : إن طريق الإصلاح والعلاج هو أن نسلك بالأمة شبابا وشيوخا ذلك المسلك الذى أصلح السلف الكريم ، ذا المجد التليد ، فلن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

وصلوات الله على خاتم رسله ، لقد وضع الشاب الذى نشأ فى عبادة ربه بين الإمام العادل والرجل تعلق قلبه بالمساجد فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله .

وما أولى الشباب بهذا التكريم ومثله معه حين يتخذون فى فورة شبابهم رقيبا عليهم من ضمائرهم ، يهيمن على غرائزهم ويوجه نشاطهم الى ما يرفع ذكرهم بين أقرانهم ويعلى قدرهم ما امتد بهم العمر ، فلا يفلتون لحظة من أعمارهم النفيسة دون أن يؤدوا فيها عملا كريما يقربهم من الأهداف العالية وصنيعا رفيعا يدنيهم من الآمال الغالية ، منتفعين فى أوقات فراغهم بما يبهج أنفسهم من الرياضة المحببة والملح المشرقة واللهو البرىء ، فلقد صارع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركانة ، وسابق عائشة ، وقال للتى سألته : هل أدخل الجنة ؟ « لن تدخل الجنة عجوز » وسأل أخرى « زوجك الذى فى عينيه بياض» فى قصتين مشهورتين . ومن الآثار الكريمة « روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فانها إذا كلت عميت » ، « إن القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فالتمسوا لها طرائف الحكم » ، ففى رائق النكات وبارع الكلمات وإرسال النفوس إلى ما تهوى - فى غير إثم - مع إخوة هم على سجيتها من علو النفس ورقة الحس وتقوى الله ، تجديد لما فتر من قواها وحفز إلى مضاعفة نشاطها فيما تستقبل من أعمال وتواجه من تصرفات .

إن المستقبل البسام لهؤلاء الذين يعرفون قيمة الشباب ، وإنهم إن كانوا اليوم أطفالا فسيكونون فى غد رجالا تصير إليهم أمجاد البلاد ومقدساتها ، والغد لهم إن أدوا زكاة الشباب ، وهو عليهم إن دعاهم الوطن للتهيؤ والاستعداد بالعلم والعمل فنكصوا على الأعقاب . . وما أتعس أمة تجرى شبيبتها وراء التافه من الشئون وتتعلق بالعمل الدون ، وتنسى رجولتها فيما تبدو وراءه من لين الأنوثة وتكسر الغانيات ، ولله القائل :

لحا الله صعلوكا مناه وهمه من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما

وأين هؤلاء الكسالى الذين ترتعش أوصالهم دون عزائم الخير من الشباب الحر الأبى الذى يقتحم المخاطر ويواجه الخطوب مع العاملين ، لتكون أمتهم خير الأمم ، وهم يهتفون مع القائل :

لا صحبت الحياة إن صحبتنى فى المنامات مهجة تستضام

لقد عرف تاريخ الإسلام شباب على وأسامة ومصعب بن عمير ورافع بن خديج وسمرة بن جندب وعمير بن أبى وقاص ، ووراء هؤلاء فى مكان الأسوة الحسنة شباب

مكتبتنا العربية

وددنا لو راجع الأحفاد صحائف حياتهم ، ليمضوا فى طريق الإباء أعزة كراما تسمع لهم الدنيا من جديد وتطيع . فما امتاز هؤلاء ببسطة فى الجسم ولا بوفرة فى المال ، ولكنهم سبقوا بالإيمان والعلم الذى يميز الخبيث من الطيب والخير من الشر والهدى من الضلال ، فلا يراهم الله عز وجل إلا على الطيب من القول والخير من العمل ، والحق الذى قامت به السموات والأرض ، ثم لا يكون الضلال والشر إلا غرضا لسهامهم التى لا تنى عنه حتى تزهقه أو تهلك دونه . . .

فهيا أيها الشباب العود بالإسلام أن يأخذوا درسا من رافع بن خديج ، وقد وقف على أطراف أنامله - وهو يبدو كبيرا مخافة أن يرده رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد فى غزوة أحد وسأله : ماذا يحسن من فنون القتال ؟ فقال : الرمى . فقبله صلوات الله عليه ، ودرسا آخر يجيزه هو سمرة بن جندب ، فلقد رده الرسول عن جهاد أحد . فبكى وقال : يا رسول الله ، كيف تقبل رافعا وترددنى ، ولو صارعنى لصرعته ؟ فلما أذن النبى صلى الله عليه وسلم فى مصارعته صرعه ومضى يعمله - لا يجاه الأفريق وشفاعة الشافعين - إلى صفوف أحد .

على أى شىء تدافعنا المناكب ؟ إنه الجهاد فى سبيل الله ابتغاء نصرة الحق ، والظفر بالشهادة فى سبيله . وإن نستعيد مجدنا التليد إلا بمثل هذه الأرواح الكبيرة ، وعلى أيدى شباب مؤمن يتخرج فى مدرسة هؤلاء الخالدين الذين تمثلوا وعملوا ، فكان العلم والعمل جوازهم إلى الخلود ، وذيوع الثأر بين الآباء والأقران ، وفى كل زمان ومكان .

كان علم ابن عباس - لا حسبه ولا نسبه - هو طريقه إلى تقدير أمير المؤمنين عمر ، وتقديمه له على مشيخة المهاجرين والأنصار . وما زالت الأجيال تردد إكبار وإجلال مقالة ذلك الفتى الذى كان على رأس وفد الجزيرة فى تهنئة عمر بن عبد العزيز بالخلافة . فلما هم الكلام قال له الخليفة : ليتحدث من هو أسن منك . فقال الفتى : يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان فى المسلمين من هو أولى بالخلافة منك . ولكن الله إذا رزق عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام ، واستوجب التوقير والاحترام . فاسترضاه الخليفة وأنشد :

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

إنى لأرثى لكثير من الشباب المرجى المؤمل . . فلقد فتنه عن دينه وتقاليده واردات الغرب ، وبلبلت فكره وخلبت لبه دعايات إباحية مسمومة ، يذيعها فيهم بكرة وعشيا

مكتبتنا العربية

مفتونين كبار ، وصحافة معروفة في الشرق العربي بأغراضها الهادمة للفضائل والآداب ، يلتقون جميعا عند طمس العقائد الدينية ، ليصير الأحياء قطعانا لا يردعها عن غيها رادع من عقل ، ولا وازع من دين . ولن نسكت عن التذكير والنذير ، ولن تحطم الأقلام وتريق المداد يأسا من إنقاذ هؤلاء الأعزاء مما خدرهم وسيطر على عقولهم ، ولكننا سنظل ندعوهم إلى الدين والعلم الصحيح الذي قدسه الإسلام وحض عليه وأعلى من قدر أهله فقال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وقال الرسول الكريم : « إن مداد العلماء يوزن بدماء الشهداء يوم القيامة » فبالدين والعلم يأمن الجيل من فتن أعداء الشرق وخصوم الإسلام . وقد غير الشرق ردحا من الزمن أستاذ الدنيا كلها تأخذ عنه وتفيد منه ، فلما رنقت الغفلة أجفانه أفلت من يده الزمام إلى أيدي الغرب الآخذ بمخانق الحياة الزاعم أنه أبو الحضارة وحامي الحرية ونصير الضعفاء . . وهيهات . ! !

يا شباب العروبة والإسلام ، هذه بشائر يقظة الشرق تشيع الثقة في غد مشرق للإسلام والمسلمين ، فتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر على تحصيل ما ينفع من العلم ، ويصل بكم إلى آمالكم من شريف الرسائل ، واضيئوا أقباس الهدى ما استطعتم ، وتعرفوا دينكم مرة أخرى ، ولا تدعوه كلما اتجهتم في الحياة يمينا أو شمالا .

والدين سلوى النفس من آلامها وطبيبها من أدمع وجراح

وإياكم وهذه الأفكار المسمومة ، وهذه الأقلام المأجورة التي تسمي الأشياء بغير أسمائها . فما أكثر ما حسبت المروق من الدين تجديدا ، وسمت التدين رجعية وجمودا ، وحذرت من القرآن والسنة زاعمة أنهما من القديم الذي لا يوائم التطور وروح العصر ، حاسبة أنها تستطيع أن تخفت صوت الله الذي تكفل بحفظه في قوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وكونوا مصداق قول الصادق صلوات الله عليه : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » .

أعزكم الله بالإسلام يا شباب ، وأعز بكم الحق وأهله ، وبصركم طرائق الخير ، لتعلوا كلمته ، وترفعوا رايته . . إن شاء الله ما

معوض عوض ابراهيم

واعظ بور سعيد

مكتبتنا العربية

الأزهر للدين أولا

هدأت وشيع نعشها ليـل فشيـ ـعنا به الأشجان والأوصابا
ومشت بها الآباد تستبق الخطـا فدفنت آمالا هناك عـذابا
ورجعت أندب فى الدجى أطلالها فوجـدت دنيا الحـالمين يبابا

* * *

جمع الزمان ، وسجرت عبراته فطوى مع الليل الجريح كتابا . .
إن المصيبة فى « الوليـد » عظيمة حسب « الوليد » من « العميد » مصابا
أيموت فى الميدان نابغـة القرو ن ، فلا يرى الأحباب والأصحابا ؟ !

* * *

قل للامام طوى الزمان صحائفا فاطو بها الأيام والأحقابا . .
واهزز بيمناك الدهور ، وأيقظ النو ام ، والحنفاء ، والكتابا
أصغى إليـك الدهر فى سلطانه فاهدم بمعوله العتيـد هضابا
« فالصرح » للدنيا و (للدين) معا فأعد فيـه النشء والطلابا
واغزر السحاب ، وحقق الآمال واجـ ـعل منهم السفراء والأقطابا

* * *

فى مصر أخلاق ، وفيها أمة فابعث بها الأخلاق والآدابا
وابن الحياة على الفضيلة والتقى وارع الشباب ، وهيئ الأسبابا
وأقم على الشورى الحياة ، وحطم الأ صنام ، والأزلام ، والأنصابا
وأعـد إلى « البيت العتيق » شبابه واكشف عن الفن الرفيع نقابا . .

مكتبتنا العربية

واهتك حجاب الدهر ، واهزز فى الدنا ... والمشرقين مآذنا . . وقبابا
واجعل « محاريب الهداية » قبلة .. للعالمين . . وكعبة ومثابا

* * *

تلك « الحصون الشامخات » مناثر ... تهدى القرون ، وتعجز الألبابا
فازجر إذا الأخلاق حد بناؤها ... فى مصر ، والشرق البعيد شبابا
واذكر إذا نسى الزمان عقائلا ... واجعل لهن من (الكتاب) نصابا
واحم الفضيلة ، واقتحم ، إن ثارت الد ... نيا ، وضاق بها الوجود . . عبابا
فاذا قضى فى أمة . . أعلامها ... كانت حياة العالمين . . خرابا

* * *

فى « الصرح » أعلام ، وفيه عزائم ... تدع الخطوب وإن عصفن سرابا
فاجمع أمور المسلمين ، إذا التوى ... أمر ، وذلل فى الحياة صعابا
واجعل لكل قضية ، إن ثارت الآ ... راء حولك حجة . . . وجوابا
واحذر رعاك الله .. فى الدنيا ، وفى ... تلك الشعاب الداجيات ذئابا
واصفح عن الزمن الأثيم ، فربما ... رجع الزمان إلى الصواب . . وتابا

صابر على رمضان المجوشى

يوم غـــد

يا بنت يعرب كم من موجع دنف ... لم تذكريه فسلم يجحدك نسيانا
يذود عنك خفى الختل منغمسا ... فى الهول يحمل ما يرضيك جذلانا
كم خاض معركة حرساء دامية ... شبت وأمعن فيه السيف إثخانا
فسلم يحشمك عبء المن منتفخا ... بالعجب واحتمل الآلام كتمانا
مهلا فصحبك والتاريخ يوم غد ... سيرفعان غشاء يسدل الآنا

فؤاد الخطيب

مكتبتنا العربية

تعليقات

تجاوب الشرق

طالما سادرتنا الحشية على أبعاد الشرق أن تذهب ضحية الاستعمار ، وطالما قرأنا وسمعنا ما يبديه أصحاب الغيرة القومية من المخاوف على روابط الشرق أن تتفكك ، وأن تتغلغل فينا دسائس الاستعمار ، وهمزات الحانقين على الشرق ، منذ كانت له الصدارة عليهم فى سالف عهوده المشرقة .

حتى كاد يبلغ الخوف من نفوسنا جميعا مبلغ اليأس ، وعشنا طويلا نتباكى على الماضى ، ونتلمس فى ذكرياته عزاءنا عن الآمال المفقودة .

وكم كانت لواعج الأسى تزداد اضطراما كلما وجدنا أصابع الاستعمار تفرق صفوفنا ، وروحه الخبيثة تأخذ مأخذها فى مجتمعنا ، وفى سياستنا وتعليمنا ، وتنفيه بنا فى كل ناحية تخرج بنا عن طابعنا الشرقى ، وتسلخنا من تقاليدنا الروحية ، حتى غمرتنا الشكوك فى حقيقة أنفسنا ، وفيما ورثنا من المناقب والأمجاد التى يعرفها الغرب عنا ، والتى أيقرت صدره علينا ، فاستفزته الأنانية إلى زحزحتنا عنها ، ثم أخذ يفاخرنا بها فى غير احتشام ولا مواربة .

ذلك كان . ولكن الشرق — والحمد لله — قد هزته الأريحية العريقة إلى تدارك شأنه ، وتجديد أواصره على صادق المودة ، وأكيد الولاء والإخاء .

تنبه الشرق كله إلى ما يحاك له ، وانزعج الشرق كله مما أصابه ، وأحس الشرق كله بمأساة التخاذل والاستهتار التى كادت تنقض أركانه ، وتطمس معالمه ، فخاشت فى صدور أبنائه غيرة كامنة ، وانفعلت نفوس رجاله بعد هدأة لم تكن من خصاله ، وتجاوب الشرق كله على صيحة من بعض جوانبه ، فأذهلت الغرب على اتساعه ، وأشاعت فيهم من جديد أن الشرق هو الشرق الذى كنتم تحسدونه ، وتخشونه ، وليس هو الشرق الذى توهمتموه زاهدا فى تركته المغصوبة .

مكتبتنا العربية

هذه ظاهرة الحياة الفتية في الشرق كله ، وليست بدعا في نظر العارفين بالشعوب والمتصلين بالاجتماع .

إذ الشرق هو الوطن الذي تصدر منه دعوات المرسلين ، وشاعت في جنباته روح الإخاء في الله وفي الوطن ، وكانت فيه مهبط الجيوش فيما في مشرق الحقائق الدينية والنظم الاجتماعية ، وانبعثت منه إشراقة لدنيا بالمعرفة وبالأخلاق الإنسانية .

والشرق إزاء هذه المناقب العلوية لم يكن يجدر به غير السيادة والهيمنة . وحينما كانت سيادته قائمة . . وهيمنته مبسوطة . . كانت سياسته مثلا كريما في العدالة والإخاء والتراحم ، وكانت قوميته عزيزة في غير تعصب ولا أنانية .

ولكن عثرات عوقت سيره في سبيله ، فأفسحت للمتغلبين عليه أن يغالبوه على أمره ، ولعلها كانت في حساب القدر بلاء له حتى يعرف من شأن نفسه مقدار ما نزل به من جراء استهانته . وتتوره في صيانة قوميته وإعادته والاحتفاظ بشخصيته ، ولعلها كانت في حساب القدر تربية قاسية له ، حتى يفيق من غفلته ، ويستعيد ما فاته ، ويعتصم بجده ، وينهض بحاضره ليصل ماضيه بمستقبله — وقد فعل اليوم .

وإنا لنعيد الشرق بمعونة الله أن ينتصر بعد نكبته . ونعيذه بتوفيق الله أن يكون سلطانه في غير بيوت أبنائه ، وأن يكون للدخلاء فرجة بين صفوفه أو مقام في دياره .

وإذا كان للأستاذ فضل في توجيه الشعوب ، فلعل شعوب الشرق تبني نهضتها من جديد على التصاق بالله ، والتمجيد للدين ، واستمدادها من تعاليم السماء .

حتى تظفر بما ظفر به الشرق أولا : من سيادة وسيادة ، ولا تبتلى بما ابتلى به الشرق أخيرا من تخاذل وضآلة واضمحلال .

ولعل كتابنا الذين لا تنساهم ، ولا نفتأ نرى مخازيهم ، يكفون أقلامهم عن الدعايات المرذولة ، ويخلصون إلى مؤازرة الحكام ، ويبصرون الشعوب بما ينبغي الجد فيه من تصحيح للوطنية ، وتطهير للخلق ، وسمو بالنفس وبالكرامات ، ولعلهم لا ينفرون من دعوتنا لهم إلى حوزة الدين ، فإنها دعوة إلى الخير كله ، أما دعوتهم التي يدأبون عليها في التحلل والإباحية فإنها دعوة إلى الشر كله ، وإن استراحوا إليها ونشطوا فيها !

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

مكتبتنا العربية

حول الأنباء :

الاستعمار يتآمر . . .

والقومية العربية تعمل

ارتبطت قناة السويس فى إنشائها بأمرين : البيت الحاكم فى مصر . . . والاستعمار الأجنبى . وكان طبيعيا بعد أن تخلصت مصر من البيت المالك ، والنظام الملكى كله . . وبعد أن خرجت القوات البريطانية المحتلة ، أن تفكر فى تصفية التركة المتخلفة عن الماضى البغيض . . .

وجاءت مفاوضات السد العالى . . وألقت بريطانيا وأمريكا القفاز . . والتقطته مصر . . وأممت شركة قناة السويس .

وأرادت دول الغرب أن تقابل التحدى . . وكان أمامها أنواع من الإجراءات :

إجراءات دبلوماسية ، وقانونية ، وسياسية : تتلخص فى المفاوضات المباشرة ، أو الوساطات والمساعى الحميدة ، أو التحكيم ، أو الشكوى لمجلس الأمن أو هيئة الأمم أو محكمة العدل .

إجراءات اقتصادية : وقد كان التوقف عن تمويل السد العالى ـ بلا شك ـ فاتحة حرب اقتصادية سواء أحدث تأميم شركة القناة أم لم يحدث . . . هذا رأينا الذى لا نحيد عنه .

إجراءات عسكرية : وهنا تستخدم إحدى الدول الغربية القوة المباشرة ، أو تستخدمها الدول الغربية متعاونة ، أو تستصدر قرارا من أحد الأحلاف العسكرية

مكتبتنا العربية

بذلك ، أو تستغل مجلس الأمن وهيئة الأمم فى هـذا السبيل . وهناك إسرائيل مستعدة للوثوب من الباب الخلفى كالعصابة المرتزقة المـأجورة ـ إذا قبضت الثمن !

واختارت دول الغرب من كل بترية شوكة ...

اختارت أن تعقد مؤتمرا من أربع وعشرين دولة ، رفضت منهما اثنتان الحضور .

واختـارت فى الوقت نفسه أن تقيم القيود على المعاملات الاقتصادية ، فجمدت أرصدة مصر فى البنوك الخـاضعة للدول الغربية ، حتى تهددت مرتبات رجال السلك السياسى نفسها ، وأخيرا أعفيت هذه من الحظر . . . بعد لأى .

كما اختارت دول الغرب أن ترسـل قوات عسكرية بحرية وبرية وجوية إلى قواعد البحر المتوسط ، وبعد أن أرسلتها راحت تتلطف فى شرح مهمتها .

بقى نوع رابع من الإجراءات ـــ لا يدخل تحت وصف ... لأنها إجراءات التآمر والدس والخيانة والفتنة ... مثل المحاولات المختلفة التى تجرى لتعطيل الملاحة فى القناة . تارة يعقد قنصل فرنسا فى بورسعيد اجتماعات للموظفين الأجانب ويقيم الاتصالات لتأليبهم على هيئة الإدارة الجديدة ، وتارة تقـدم الشركة الملغاة إغراء شهيا بدفع مرتب ثلاث سنوات لمن يمتنع عن العمل ... وتتصل بالمرشدين فى الإجازة حتى لا يعودوا ، وقد قيل إن عدد المرشدين كلهم ٢٠٧ ، منهم ٦١ انجليزيا ، ٥٤ فرنسيا ، ٤٠ مصريا ، والباقى من جنسيات أخرى . . . ثم هناك الإشارة المريضة فى خطـاب سلوين لويد لحوادث ٢٦ ينـاير سنة ١٩٥٢ ، والإشاعة التى أطلقها الاستعمار بحرق أجنحة الغرب فى معرض دمشق . . . كلها محاولات لا تدخـل تحت اسم ولا وصف مما اصطلح عليه العرف والقانون ، وأهم هذه الإجراءات ما يمس النواحى الاقتصادية والعسكرية .

أما الإجراءات الاقتصادية : فهى تحصيل حاصل ـ كما قلت . . . إن هذه الدول منذ توقفت عن تمويل السد العـالى وشهرت بمكانة الاقتصاد المصرى فى العالم ، قـد بدأت سلسلة أعمال مدروسة متتابعة لإحراج الحكومة المصرية . . . وكان لا مندوحة من مواجهة هذه الأعمـال ، مهما كان الموقف . وأيسرها طبعا التلكؤ فى الإفراج عن نصيب مصر من الأرصدة الاسترلينية المقرر وفقا للاتفاقيات ...

مكتبتنا العربية

وأما الإجراءات العسكرية : فأن إسرائيل ـ الكلب العقور ـ أمرها ليس جديدا ولا غريبا . . . وإسرائيل تصرخ في دول الغرب تريد السلاح ، والغرب يريد تحطيم القومية العربية وتأييدها الجديدة ، وتحطيم الأسلحة المستوردة من روسيا وتشكوسلوفاكيا ، فمن مصلحة الغربيين أن يتفقا .

أما الإجراءات العسكرية المباشرة عن طريق الدول الغربية نفسها فعليها أن تواجه خطرين :

الخطر الأول : استحالة حرب عالمية نتيجة لتدخل روسيا . . . حقيقة ان الدول كلها تسعى لتأجيل الحرب العالمية ـ بما فيها روسيا ، وحقيقة ان الدول الغربية تسيطر على استراتيجية الشرق الأوسط وتستطيع أن تقفله في وجه روسيا إلى حد كبير . . . ولكن ليس معنى هذا أن روسيا لا تجد سبيلا إلى التدخل ـ إذا أرادت : تستطيع أن تتدخل عن طريق المتطوعين ـ مثلما تدخلت في حرب كوريا ، فلا تصبح الحرب عالمية ، وقد اقترح بولجانين بعد نهاية مؤتمر لندن ، وتستطيع أن تتدخل في منطقة أخرى غير الشرق الأوسط من المناطق المشحونة بالتوتر . . . أمامها المكسيك بشيوعيها ، وكوريا بشطريها ، والصين وروسوة ، والهند الصينية بشطريها . . . كلها مناطق صالحة للاشتعال ، بأن يتحرك الشطر الموالي للكتلة الشرقية ضد الآخر ، فيؤثر هذا حتما على الاستراتيجية والتكتيك في معركة قناة السويس . وقد أشارت جريدة « جورنالي دتيالبا » إلى شيء من هذا حين قالت : « ليس من الضروري أن يكون الإنسان استراتيجيا ليدرك بداية العمل السوفييتي التي تنحصر في اجتذاب القوات الغربية من أوربا للهجوم ، في الوقت الذي تراه وسكو ملائما ، فتكتسح خطى براغ ـ مانيس ـ بارييس ، وبرداپست ـ زغرب جوريزيا » .

والخطر الثاني الذي يواجه الغرب : انسلاق ميدان المعركة حتى يعم الدول العربية كلها . . . وفرنسا ما زالت تترنح تحت ضربات المغرب العربي ـ وخاصة الجزائر ، وليبيا هددت حكومتها بالحظر على القاعدة الأمريكية الضخمة ، وسوريا ولبنان والمملكة السعودية والعراق تمتلك إما منابع البترول وإما أنابيبه . . . فاذا ساعدتنا الشعوب الحرة الأخرى بقدر ما تستطيع ، كالهند وموقفها معروف ، والصين الشعبية وروسيا مساندون

مكتبتنا العربية

وهى ليست عضوا فى الأمم المتحدة ومن ثم لا تلتزم بقراراتها ، وأندونيسيا وهى شريكة الهند فى « باندونج » وفى أرضها صدرت قراراته ، كان على الاستعمار أن يواجه جبهة متسعة شاسعة .

ماذا يقولون ؟ :

ولا شك أن الغرب قد اعترف بهذين الخطرين وحاول التهوين من شأنهما . فقد علقت وكالة الأسوشيتدبرس على موقف شبيلوف ـ وزير الخارجية الروسى فى مؤتمر لندن ـ بقولها : « ... ولكن الدبلوماسيين الغربيين قد لاحظوا أن شبيلوف قد كشف عن إدراك حى للأخطار التى قد تنجم عن إدارة مصرية مطلقة للقناة ، ودعا إلى عقد معاهدة جديدة لضمان حرية القناة وحقوق مصر ، وإيجاد تعاون دولى مع مصر لضمان استقرار رسوم السفن ، والاتفاق على ألا تكون القناة مبعثا للتهديد بعمليات حربية ، أى لا تكون منطقة قاعدة حربية كالقاعدة التى كانت تستخدمها بريطانيا . ويقول بعض الدبلوماسيين الغربيين : إن هذا قد يكون إشارة إلى رغبة روسيا للاشتراك مع الدول الأخرى فى إدارة القناة إذا وافقت مصر » . وذهبت « الديلى سكتش » البريطانية هذا المذهب ، وقالت إن دبلوماسية إيدن قد طوت شبيلوف » .

كذلك يعلق الغرب أملا كبيرا على الضغط الاقتصادى : فالأسوشتيدبرس تقول : « وهناك أمر واحد مؤكد : أن دول الغرب فى وضع يمكنها من تشديد ضغطها الاقتصادى على المصريين بوسائل يمكن أن تجعل الحياة عسيرة جدا » وقد علقت صحيفة الاستاتيست البريطانية على الإنذار الذى وجهته الحكومة البريطانية إلى الشركات التجارية الإنجليزية بألا ترسل سلعا إلى مصر إلا إذا كان ثمنها مدفوعا بمقتضى اتفاقات سابقة لتاريخ تأميم القناة أو كان الدفع من موارد أخرى غير أرصدة مصر الاسترلينية وقالت : « إن هذه الحركة ستشدد من المصاعب التى تواجه مصر ، ولما كانت السلطات البريطانية قد طلبت إلى حكومات الدول الغربية الأخرى ألا تشجع البنوك المحلية على سد الثغرة فى تدابير مصر الخاصة بالتمويل الناشئة عن سحب تسهيلات الدفع بالاسترلينى ـ وهو الجزء الأكبر فى التمويل عادة ـ فإن مصر قد تستخدم ما بقى لديها من الذهب والعملة الأجنبية فى تمويل تجارتها وفى سد الثغرة فى مدفوعاتها الخارجية .. والاحتياطى عندها لا يزيد على ٩٠ مليون جنيه » وقد فات هذه الصحيفة أن الدول الغربية ليست هى كل شىء فى العالم ، وأن الدول العربية

مكتبتنا العربية

ودول الكتلة الشرقيـة تستطيع أن تعاون مصر باجراءات مصرفية واقتصادية ، لا يتسنى للغرب مواجهتها إلا بأن يعمم الحظر المـالى الذى فرضه على كل هذه الدول .

لقد ذكرتنا انجلترا بحصارها الاقتصادى السابق على نابليون .

المؤتمـر :

أما الإجراءات الدبلوماسية فقـد دعا الغرب إلى مؤتمر لندن . وأعادنا إلى عهـد المؤتمرات فى القرن التاسع عشر ، وسياسة مترنيخ ، وقد برر هذا المؤتمر بأنه نوع من التحكيم عرضت له مواد ميثاق هيئة الأمم ، و برر عدم اللجوء للهيئة التى يستشهد بميثاقها بأن إجراءاتها طويلة جدا .

وقد تمخض المؤتمر عن هذه الاقتراحات بشأن تدويل القناة .

١ ــ إدارة دولية مبـاشرة : وهذا ما دعت إليه فرنسا أولا .

٢ ــ إشراف دولى : بتشكيل مجلس إدارة دولى يكون مسئولا عن إدارة أعمال القناة وتشترك مصر فيه ، ويرتبط بالأمم المتحدة ، على أن تدير مصر القناة تحت إشرافه ، وتشكل هيئة دولية للتحكيم وتحدد عقوبات لمن يخرج على القواعـد الدولية . وهـذا ما دعت إليه الولايات المتحدة الأمريكية ، واعتبر هذا اقتراح الدول الغربية الثلاث .

٣ ــ تعاون دولى : وهو ما اقترحته باكستان ... وما لبثت أن انضمت للمشروع الغربى بعد تعديلات خفيفة تهدف إلى عـدم فرض إرادة المؤتمر على مصر ، واشتركت فى التعديلات تركيا و إيران ، وقبلتها الدول الغربية .

٤ ــ إدارة مصرية ويشترك فى المجلس دول محايدة غـير الدول الـكبرى : وهذا هو الاقتراح الأسبانى الذى أعلنه أرتاخو ، وندد بالإشراف الدولى واعتبره انتقاصا للسيادة . ثم ما لبث أن عاد إلى إسبانيا على نحو مريب ، وخلف نائبه ليعلن الانضمام إلى المشروع الغربى مع بعض التحفظات !

٥ ــ لجنـة استشارية : تمثل مصالح المنتفعين بالقناة على أساس التمثيل الجغرافى والمصالح ، وتتولى الهيئة الإشارة والاتصال ، وتبلغ الحـكومة المصرية تقريرها إلى هيئة الأمم المتحدة ، وهذا هو اقتراح الهند الذى أعلنت مصر أنها يمكن أن تتخذه أساسا

مكتبتنا العربية

٦ — معاهدة جديدة : وهذا هو الاقتراح الروسى، وكانت مصر قد أعلنت فى بيانها أنها مستعدة لعقد معاهدة جديدة لتأكيد معاهدة القسطنطينية ، تودع فى سكرتارية هيئة الأمم، فتكون مسئولة دوليا إذا أخلت فى إدارتها بما التزمته من ضمانات . واتصل وزير الخارجية المصرية بسفراء الدول التى تهمها الملاحة بالقنال ليبلغهم أنه مستعد لتلقى شكاويهم بشأن الملاحة ، على أن يكون مؤكدا أن مصر لا تقبل الإشراف الدولى على القناة .

وقد ردت مصر . . وأعربت عن وجهة نظرها فى يوم انعقاد المؤتمر ذاته ، وتتابعت التصريحات الرسمية بعد ذلك ، وهى تقرر أن ما تقبله مصر هو :

معاهده جديدة .

مؤتمر أوسع نطاقا مقره القاهرة ، وتدعو له مصر دول اتفاقية القسطنطينية والدول التى تستخدم القناة .

لجنة استشارية فنية ، ليس لها أى طابع سياسى .

القومية العربية :

إن القومية العربية هى التى تعمل الآن . . . لم يعد هناك قضية مصرية ، بل عربية . .

هكذا تتابعت التصريحات الرسمية من مصر . . . وتأيدت عمليا فى حركات يوم ١٦ أغسطس ، من إضرابات ومظاهرات ومؤتمرات وخطب وبرقيات . وقدمت سوريا « بعثة طوافة » على رأسها رئيس حكومتها زارت العراق والأردن والمملكة السعودية لتنسيق التعاون على تأييد مصر .

ولقد أدهش القلب موقف الدول العربية التى أعلن استقلالها الرسمى قريبا . . .

إن عمرها السياسى والوطنى يفوق عمرها الزمنى . . . إنها تنمو بسرعة ، وتستفيد من تجارب الذين سبقوها ولا تتعثر فى أخطائهم .

فكيف نعبر عن تقديرنا لموقف السودان الحبيب . . . حكومة وشعبا . . . أحزاب الحكم والمعارضة ؟ ؟ إننا نحيى هذا الوعى الشعبى ، وهذه البداية الظريفة للسياسة السودانية .

وليبيا . . . المثقلة بالاتفاقات المالية والسياسية والعسكرية . . . إن وزير الخارجية بالنيابة يقول للسفير الأمريكى : إن الحكومة لا تستطيع أن تحمى أكبر قاعدة أمريكية

مكتبتنا العربية

فى الشرق الأوسط موجودة فى أرضها ، إذا هددت مصر ... ويدهش السفير ويسأل الوزير : هل هذا الكلام رسمى ؟؟ ... ويؤكد الوزير كلامه ... ويؤكد رئيس الوزراء الذى كان بمصر لحضور اجتماعات الجامعة العربية موقف الوزير .

وتونس ... ومراكش ... كلاهما يؤيدان مصر .

والبحرين ... التى لم تنل بعد استقلالها ... إن الاتحاد الوطنى هناك أعلن تضامنه مع البلاد العربية .

وانتفضت الشقيقات الكبيرات ... لقد كان تصرف الدول الشابة مثيرا ومشجعا ... اقبلت العراق تشارك الدول العربية ... وأقبلت المملكة السعودية تهدد بالبترول ، وأذيع نبأ ذلك من السفارة المصرية بفرنسا .

أين كان هذا ... وقت قضية فلسطين عام ١٩٤٨ ؟؟

إن ثمانى سنوات ... قد فعلت فينا الكثير ! ! !

والآن :

لقد انتهى مؤتمر لندن ، فماذا كان الهدف من وراء انعقاده ؟ ؟

كان الهدف إكساب الدول الغربية سندا أدبيا . . . وإعطاءها ستارا يكون بمثابة « كاموفلاج » للاستعدادات العسكرية . . . وإلقاء بعض الماء على نار الحماسة العربى ! وتعريض البلاد لفترة يتخللها ضغط اقتصادى ومناورات عسكرية وألاعيب فى الفناة ، ثم قرارات المؤتمر ! ! !

وكان هذا ظاهرا فى طريقة اختيار الأعضاء ... ومناورات السياسة والحرب .. وإدارة الجلسات .

ولقد نجح المؤتمر من وجهة النظر الاستعمارية فى الوصول إلى تأييد الدول الغربية ، وإحداث (تغيير فى المنظر) تواصل القوات العسكرية وراءه استعداداتها . . . ولم يكن معقولا ولا منتظرا أن تستدعى بريطانيا هذه الدول ؛ لتستصدر منها (دكريتو) باستخدام القوة ! فالذين طبلوا لنغمات السلام داخل المؤتمر ... ثم فاجأتهم النهاية ، والذين ظنوا أن مجرد اتفاق المؤتمر على استبعاد القوة كسب ... قد جانبتهم أطراف من القضية .

إن جيتسكيل زعيم العمال الانجليزى الذى يعارض استخدام القوة يؤيد التدويل ، والصحف الانجليزية التى تعارض إيدن تؤيد التدويل ... والدول التى أكدت سيادة

مكتبتنا العربية

مصر أيدت التدويل داخل المؤتمر ... وأراد جتيسيكل أن يفتح القناة لإسرائيل ، ليغدق على جيوب المصريين مزيدا من الرخاء !!!

ودالاس ... الذى لا يحب الحرب ولا يستلطف استخدام القوة ... لم يحبذ أن يقرر المؤتمر قرارا اجماعيا ... لكى يترك الباب مفتوحا أمام كل دولة لتعلن عن القرار الذى ارتضته داخل المؤتمر عن طريق حكومتها ... وبذلك تعلن التدويل ، ثم تعلن ما تشاء من إجراءات لم يناقشها المؤتمر ، ولم تخطر له على بال !!!

أرأيت هذا الكلام المسموم ؟ ؟

ثم اتفق المؤتمر على أن يوفد مندوبى الولايات المتحدة واستراليا والسويد والحبشة وإيران لعرض الاقتراح الغربى على مصر .

ووافقت مصر على أن تستقبل اللجنة ... بعد أن أكدت أنها لا تحمل إلا محاضر المؤتمر ، وأن الالتقاء بها والتحادث معها لا يقيد أحد الطرفين .

وقد لاحظنا بعد نهاية المؤتمر :

١ — استمرار المظاهرات العسكرية :

٢ — السير فى محاولات الاتصال بمرشدى القناة لعرقلة الملاحة . وقد صرح الانجليز بأنهم لا يتدخلون فى حرية رعاياهم الشخصية إلا أنهم رجعوا فأذاعوا أنهم ناشدوا موظفى القناة الأجانب الاستمرار فى العمل إلى حين ، وأذيع مثل هذا عن اللجنة الخماسية ، ومعنى هذا أن الانجليز يتابعون إصدار الأوامر إلى رعاياهم الذين يعملون بالقناة ، بل قد حاول الغرب الاتصال بالراغبين فى الالتحاق بالعمل فى الإدارة الجديدة من البلاد المختلفة لحملهم على العدول .

٣ — رحلة الملك حسين إلى الرئيس شكرى القوتلى ، والمحادثات المشتركة بينهما بشأن الموقف العربى ، ورحلة الأمير زيد بن الحسين سفير العراق بلندن إلى الملك سعود .

٤ — استمرار الاعتداءات الاسرائيلية على الحدود المصرية والأردنية ، وتجدد الحديث عن تحويل مجرى الأردن .

٥ — ومن جانب مصر ، تواصل البلاد التدريب ، والاستعداد على ساق وقدم ، وتدور المباحثات لمواجهة الموقف من الناحية الاقتصادية مع مديرى البنوك ووفود الدول كسوريا والصين الشعبية وألمانيا الشرقية . والله المستعان ؛

محمد فتحى محمد عثمان

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

تنسيق جهود العرب

لسلامة الوطن العربي الأكبر

تقرر عقد مؤتمر عام لمختلف الأحزاب والهيئات فى جميع الأوطان العربية لتنسيق جهود العرب فى سبيل نصرة القضايا العربية والدفاع كتلة واحدة من أجل سلامة الوطن العربي الأكبر ، وينتظر أن يكون انعقاد هذا المؤتمر إما فى دمشق أو فى بيروت .

ذكرى السنوسى الكبير

تقيم البلاد الليبية (طرابلس وبرقة) فى يوم الجمعة ٩ صفر حفلات كبرى لذكرى مرور مائة عام على وفاة الإمام محمد بن على السنوسى الكبير مؤسس الزوايا السنوسية فى جغبوب وفروعها فى ليبيا وأنحاء شمالى إفريقية . ويمثل مصر فى هذه الذكرى مفتى الديار المصرية ووزير الأوقاف والامين العام للجامعة العربية والسكرتير العام للأزهر والمعاهد الدينية ، والرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وتستمر مهرجانات الذكرى مدة أسبوع ، ويزور كبار المدعوين المعالم السنوسية فى بنى غازى والبيضاء والجبل الأخضر وغيرها

حالة ليبيا

كما يصفها رئيس وزارتها

مر السيد مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا ببيروت ، وتحدث إلى مراسل دار الأخبار فيها ، ومما قاله له : إن معاهدتنا مع انجلترا لم تمنعنا أن نتبادل التمثيل الدبلوماسى مع روسيا ، ولا أن نؤيد مصر فى تأميم القناة ولا أن نمنع بريطانيا من استغلال مطاراتها فى بلادنا لتهديد مصر وسلامتها . . إننا أحرار . . أحرار ، نأخذ من بريطانيا خمسة ملايين جنيه استرليني فى العام وليس فى جيشنا أى ضابط بريطانى ، ونأخذ من أمريكا اثنى عشر مليونا من الدولارات ولا نتركها تتدخل قيد شعرة فى سياستنا . إننا نعرف أنفسنا ونتبع حكمة معاوية «إذا لم يجد فيك الناس رهبة أو رغبة استهانوا بك » .

ثم قال : « هل تريد الصراحة ؟ نحن لا نستطيع أن نقف على أرجلنا قبل مضى خمس عشرة سنة . إننا دولة جديدة تحتاج إلى كل قرش يأتيها من الخارج ، وعند ما تنتهى فترة البناء لن تجد فى ليبيا من يرضى بهذه المعاهدة أو يسكت عنها ، إن معاهدتنا

أصلح من معاهدة الأردن : إننا رفضنا أن نفاوض الانجليز على أساس معاهدتهم مع الأردن .

نحن نأخذ منهم المال بأيدينا ، ونصرفه بأيدينا . نحن نأخذ منهم السلاح مجانا ، نحن لا نرضى بوجود بريطانى واحد فى جيشنا ، نحن لا ندعهم يتدخلون فى سياستنا الخارجية . نحن جمدنا لهم جميع مالهم عند ما دعانا واجب الأخوة نحو مصر » .

غابة فى شمال القاهرة

تقرر إنشاء غابة مساحتها ٨٠٠ فدان فى شمال القاهرة عند الجبل الأصفر ، واعتمد لذلك أربعون ألف جنيه ، وتم بالفعل زراعة ١٧٦٠٠ شجرة فى مساحة قدرها ١٨٥ فدانا ، منها ٨٤٠٠ شجرة حور من الأصناف الممتازة التى تدخل أخشابها فى صناعة الأبلاكاج والأثاث وأعواد الكبريت .

وينتظر استغلال هذه الغابة فى ابريل القادم .

يقظة الضمير

فى جامعة كمبريج بانجلترا

لأول مرة فى جامعة كمبريج ، بل فى الحياة العلمية ببريطانيا ، يستيقظ الضمير الإنسانى فتتوحد كلمة خمس عشرة جمعية جامعية تمثل أكثر من ألفى طالب فى الانتصار لقضية إنسانية وتأييدها ضد الاستعمار ، فقد اشتركت هذه الجمعيات فى بحث قضية الجزائر والمجزرة الهمجية التى تقوم بها فرنسا فى الشعب الجزائرى على مشهد من حضارة القرن العشرين ، واعتبروا ذلك تدهورا معيبا للانسانية ، وأعلنوا فى قرارهم أنهم يعتقدون اعتقادا ثابتا أن أى حل لمشكلة الجزائر يجب أن يقوم على أساس حق الشعب الجزائرى فى تقرير مصيره بنفسه .

كتيبة علماء الأزهر

احتفل بتخريج الكتيبة العسكرية الأولى من علماء الأزهر وموظفيه فى جيش التحرير للجهاد فى سبيل الله ، وكان فى طليعة كتيبة الجهاد الأزهرية التى أتم أفرادها تدريباتهم على استعمال الأسلحة والذخيرة الحية فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وأصحاب الفضيلة سكرتير الأزهر العام ومدير التفتيش والمدير العام للوعظ والإرشاد .

وقد تمت تدريباتهم خلال أسبوعين فى معسكر خاص بساحة كلية الشريعة وأشرف على تدريبهم البكباشى صلاح المراسى قائد معسكر الجامعات فى جيش التحرير والصاغ محمد الطيبى رئيس المعسكر ، وقد سجل كبار علماء الأزهر — برغم تقدمهم فى السن — إصابات وأهدافا عسكرية ممتازة .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

انفجار فى الشمس

حدث فى الأسبوع الماضى انفجار جسيم فى الشمس يقول علماء الطبيعة فى معهد سو يسرا الفيدرالى إن قوته تزيد عن قوة انفجار مليار قنبلة ذرية . وقد شمل الانفجار مساحة فى الشمس تقدر بخمسة أضعاف مساحة الكرة الأرضية . قالوا ولم يكن له خطر على الإنسان فى الأرض لأن الجزيئات الذرية المنبعثة من الانفجار لاتصل إلى الأرض ، وغاية ما كان له من الأثر اضطراب فى الموجات اللاسلكية القصيرة ورداءة الطقس فى بعض الأنحاء .

حضارة العرب والاسلام

فى جزيرة صقلية

فى المؤتمر الدولى الأول الذى انعقد فى پالرمو بجزيرة صقلية للاخصائيين فى تاريخ حضارة البحر الأبيض المتوسط فى الأسبوعين الماضيين قدم الدكتور أحمد فكرى بحثا قيما عما تدين به حضارة صقلية للحضارتين العربية والإسلامية اللتين أنار مشعلهما هذه الأرجاء أمدا طويلا ، وكانتا الينبوع الذى استمدت منه العلم والمدنية وأساليب الحياة .

وقد وافق المؤتمر على عدة مقترحات تقدم بها الدكتور فكرى مندوب مصر ، وفى مقدمتها تخصيص قاعة لعرض صور تمثل الآثار والمبانى فى صقلية ومايقابلها من آثار ومبانى البلاد الأخرى ، ليظهر على نحو جلى مدى ما انطبعت به حضارة صقلية من حضارات البلاد الأخرى . كما قرر المؤتمر تخصيص قاعة أخرى لعرض الخرائط الجغرافية التى تصور الاتصالات بين صقلية وبلاد البحر الأبيض المتوسط فى مختلف العصور .

ومن المعلوم أن الشريف الإدريسى كان قد استدعى إلى صقلية ليكون حامل مشعل العلم فيها ، وعليه تتلمذ ملك صقلية وكبارها ، وفى صقلية ألف كتابه العظيم فى الجغرافيا ، ورسم الخرائط الجغرافية التى لاتزال محفوظة ومعروفة إلى الآن .

توحيد مستوى الشهادات

فى البلاد العربية

أوصى مؤتمر التعليم الثانوى للبلاد العربية — الذى عقد أخيرا فى بيروت — بتوحيد مستوى الشهادات العامة بالبلاد العربية ، لإمكان التبادل الثقافى بين مختلف الدول العربية .

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

الكتب

الأدب المفرد — للبخارى

بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى — ٣٥١ ص — المطبعة السلفية بالقاهرة

الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى (١٩٤ — ٢٥٦) أول من وضع فى الإسلام كتابا محض فيه صحيح السنن ومحصها ، بالشروط الدقيقة التى اشترطها ، فقطع الطريق بذلك على أهل البدع الذين نجمت قرونهم فى عصره ، ففشلوا فيما رسموه من الخطط لإفساد السنة المحمدية ، وحرمان الإنسانية من هـذا الينبوع الصافى للتشريع والتهذيب وحسن التوجيه إلى الحق والخير . وإذا كان عام ٢٢٠ — كما يقول الحافظ ابن حجر فى فتح البارى — هو الحد الفاصل بين آخر البطون الثلاثة الأولى التى وصفها النبى صلى الله عليه وسلم بأنها خير القرون ، وبين زمن البدع والمذاهب الزائغة والدعوة إلى تشويه الإسـلام ، فيكون الإمام البخارى هو الرجل الذى أعده الله لإدراك نهـاية القرون الثلاثة بالشطر الأول من حياته ، فتسلم منها أمانات الإسـلام ، كما أعده بالشطر الثانى من حياته ليستقبل زمن الفتنة بجهاده وجهوده ويقيم له ولأهله هذه القلعة الحصينة من سنة رسول الله فيقضى بها على كل محاولة سافرة أو مدسوسة لاتلاف الإسلام وتحويل مجراه .

ولما كان الأدب والخلق والتوجيه الاجتماعى من أهم عناصر رسالة الإسـلام ، فاننا نجد له فى صحيح الإمام البخارى مكانا متسعا ألمّ بأمهات ما توارثه أئمة الإسـلام من الحديث النبوى ، ثم رأى البخارى أن هذا الموضوع يستحق زيادة العناية به ، والأمة الإسلامية فى حاجة إلى استقصاء سائر ما ورد فيه من الأحاديث الصحيحة والحسنة ، (فأفرد) لذلك هـذا الكتاب الجليل الذى سماه (الأدب المفرد) ووضعه فى أيدى الناس ليستنوا بسنته فى أنفسهم وبيوتهم وتأديب بنيهم ، والتعامل مع أفراد المجتمع فى أنديتهم وأسواقهم ودواوين حكمهم .

مكتبتنا العربية

وكان (الأدب المفرد) للبخارى قد طبع فى سنة ١٣٠٦ ببلدة آرة فى الهند ، ثم فى القسطنطينية سنة ١٣٠٩ ، وفى القاهرة سنة ١٣٤٩ ، وكان ينبغى أن تكون الطبعة المتأخرة أصح وأحظى بالعناية من الطبعة المتقدمة ، إلا أن الأمر جاء بالعكس فبقيت طبعة الهند خيرا من الطبعتين التاليتين لها ، ولذلك رأى الوجيه الحجازى الكبير الشيخ يوسف زينل أن يعاد طبع هذا الكتاب فى المطبعة السلفية بالقاهرة ، وقد تفضل علامة الحجاز الشيخ محمد نصيف فاستعار على مسئوليته من مكتبة الحرم المكى الشريف نسخة مخطوطة من الأدب المفرد ونسخة من الطبعة الهندية وأرسلهما إلى صديقه رئيس تحرير هذه المجلة ، وتولى الفاضل المحقق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى معارضة نصوص هذا الكتاب بما ورد منها فى الكتب الستة ، ونبه على موضع كل حديث اتفق وروده فيها . كما قام بترقيم الأبواب بأرقام متسلسلة فبلغت ٦٤٤ بابا ، وبترقيم الأحاديث بأرقام متسلسلة كذلك فبلغت ١٣٢٢ حديثا .

وكتب رئيس تحرير هذه المجلة مقدمة الكتاب ، واستعرض فيها حياة الإمام البخارى من نشأته الأولى إلى أن بلغ القمة فى كيان الإسلام العلمى ، وذكر مما امتاز به هذا الإمام العظيم أنه كان من زمن طفولته يعنى باستيفاء تراجم الرواة حتى كأنه يعيش معهم ، فكان يعلم الراوى و بيئته وعمن كان يروى ومن هم الذين رووا عنه ، فاذا حدث أحد فأخطأ فى سند الرواة أدركه البخارى ، لأنه يعلم الراوى وشيوخه وتلاميذه وأزمانهم وأوطانهم .

وقد ألحق بآخر هذه الطبعة من الأدب المفرد فهرس تفصيلى لأبوابه بأرقامها وأرقام الأحاديث التى فيها .

ومع أن هذه الطبعة من الأدب المفرد قد امتازت بكل ما ذكرنا ، فان المجال لا يزال متسعا لخدمة هذا الكتاب خدمة أخرى أوسع وأدق ، وقد اتخذت الأهبة لتحقيق ذلك بعد نفاد هذه الطبعة إن شاء الله .

يسر الاسلام

وبيان أشياء من مناسك حج بيت الله الحرام

هذه رسالة لطيفة فى مناسك الحج وتحرى ما صح منها عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ألفها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود الشريف قاضى حكومة

مكتبتنا العربية

قطر فى الخليج العربى ، وقد أورد فيها تحقيقات تقتضى التوسيع على الناس فيما ضيقوا به على أنفسهم فى مثل رمى الجمرات من الزوال إلى الغروب فى أيام التشريق ، مع أن رمى النبى صلى الله عليه وسلم جمرة العقبة يوم العيد من أول النهار يقتضى جواز الرمى فى الأيام الأخرى قبل الزوال فيزول الحرج فى هذا الزمن الذى ازداد به عدد الحجيج وازداد الازدحام بسبب ذلك .

والرسالة مطبوعة فى مطابع دار المؤيد فى البحرين ، وهذا مما ابتهجنا له أن تقوم حركة الطباعة فى مختلف أنحاء الجزيرة العربية حتى بلغت الرياض فى أعماق نجد ، والطباعة رائد الحضارة والعلم ، يتسعان باتساعها ويستنيران بأنوارها . والله الموفق .

التحرير والتنوير فى تفسير القرآن الكريم

لإمام تونس وشيخ جامعها الأعظم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

من منشورات دار الكتب الشرقية بتونس

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هو جزء فى قريب من ٤٠٠ صفحة ، انطوى على مقدمات التفسير وعلى تفسير سورة الفاتحة وجزء عم . وقف فيه مؤلفه مواقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها ، وأبدى فى تفسير القرآن نكتا لم ير من سبقه إليها ، واهتم فيه ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال ، واهتم أيضا ببيان تناسب الآى بعضها ببعض .

ومقدمات الكتاب وحدها كتاب ، وهى عشر مقدمات : الأولى فى التفسير والتأويل وكون التفسير علما . الثانية فى استمداد علم التفسير . الثالثة فى التفسير بغير المأثور والتفسير بالرأى وشروط صحة التفسير . الرابعة فى غرض المفسر . الخامسة فى أسباب النزول . السادسة فى القراءات وماله منها علاقة بالتفسير . السابعة فى قصص القرآن . الثامنة فى آى القرآن وترتيبه وأسماء سوره . التاسعة فى المعانى التى تصلح بحمل القرآن للحمل عليها . العاشرة فى إعجاز القرآن ومنه الإعجاز العلمى والحكمة وإخبار القرآن بالمغيبات .

مكتبتنا العربية

وهذه المقدمات فى مائة صفحة من حجم صفحات هـذه المجلة ، ثم يأتى تفسير سورة الفاتحة فسورة النبأ إلى آخر كتاب الله .

إن العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الجامع الأعظم بتونس وهو إمام تونس بل علامة شمال إفريقية وأديبها ، وقد ملأ الأرض علما بتحقيقاته ومؤلفاته ، وآخرها هذا التفسير النفيس . مد الله فى حياته .

الوجودية فى الميزان

للأستاذ محمد أبو المكارم عيسى — ٧٢ ص — المطبعة المنيرية

هذه رسالة ثانية فى الوجودية لفضيلة الأستاذ المؤلف ، وأصل هذه الرسالة الثانية محاضرة ألقاها فى نادى مأمورى الضرائب بين فيها مبادئ الوجودية وأغراضها ، ثم أضاف إليها زيادات لم يكن ليسمح بها الوقت المحدد لإلقاء المحاضرات ، فكان فيها بيان وربط بين أصول الذاتية قديما وحديثا ، فهى تتبع لمبادئ المذهب الوجودى ، ومقارنة بينها وبين تلك المذاهب القديمة . ويقول المؤلف إن الذين تكلموا على الوجودية ابس بعضهم منظار النائب العام اتهاما لها ، وارتدى بعضهم روب المحاماة دفاعا عنها . قال : ولكنى لم أرد أن أكون واحدا من أولئك ، كما أننى لا أتشح بوشاح القاضى ، وإنما سأكون الخبير الذى ندب لقضية غمضت ظروفها وخفيت قرائنها وعميت أدلتها ، فمهمته بسط الحقائق ، وإظهار القرائن ، ليستنير الطريق أمام العدالة .

ووعد باصدار رسالة ثالثة أوسع من هذه وأصرح .

الشكليات وروحها فى الاديان

للاستاذ واصف البارودى — ٤٠ ص — من منشورات عباد الرحمن

عباد الرحمن جماعة من شباب مسلمى لبنان ، اتخذوا لأنفسهم شعارا من قول الله عز وجل « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » وقد سمعنا عنهم كلمات الثناء من أنحاء مختلفة آخرها للاستاذ السيد أبو الحسن

مكتبتنا العربية

الندوى فى مجلة البعث الهندية ، وهذه الرسالة (الشكليات و روحها فى الأديان) كتبها فاضل منهم وهو الأستاذ واصف البارودى من كبار رجال التعليم ، وقدم لها رائد الجماعة الأستاذ السيد محمد عمر الداعوق ومدارها على توخى روح الشعائر عند القيام بها و إلا كانت رياء يعود على صاحبه بالإثم ، لأن الأعمال بالنيات لا بظواهر شكلياتها ، والإسلام باعتماده على الحس الداخلى المستنير حيث تبيت النية إنما أراد من الشعائر روحها وحقيقتها وأثرها فى النفس المسلمة ، لأن الإسلام دين صدق وتعقل وتفكير يؤدى إلى تذوق مرهف لحقائق الوجود ، وهذه المعانى العظيمة إذا تدبرها الشباب الإسلامى وعمل بها يوشك أن يكون منه جيل يستحق أن يكافئه الله بمثل ما كافأ به أسلافه من أهل الصدر الأول ، والله المعين .

رباعيات الخيام الحقيقية

للاستاذ عبد الغفار الهاشمى — ١١٤ ص — مطبعة الشرق

الأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمى الأفغانستانى يجيد اللغة الفارسية وقد مارس تدريسها ، ثم قام أخيرا بترجمة رباعيات الخيام عن أصلها الفارسى ، وقد أورد النص الفارسى لكل رباعية وأعقبه بترجمته ثم أوضحه بما يزيده بيانا ، وقدم للكتاب مقدمة طويلة عن الخيام ورباعياته وترجماتها بالعربية و بمختلف اللغات الأخرى ، فنلفت إليها الأنظار .

تصويب

وقع فى باب وصف الكتب من الجزء الماضى خطأ فى تعيين بداية الجزء السادس من تفسير الطبرى ونهايته . والصواب أنه يبتدئ من آية « الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » وينتهى بآية « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو (افتدى) به » . فنرجو من الله الغفران ومن القراء التصحيح .

مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة	الموضوع	بقلم
١١٣	أخلاق جديدة لحياة جديدة	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١١٩	نفحات القرآن : العمل للدنيا عبادة	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
١٢٤	السنة : عيد الجلاء الأول — ٢ —	« طه محمد الساكت
١٢٨	الهجرة الشريفة بطولة وحسن سياسة	« محمد الطنيخي مدير الوعظ والارشاد
١٣٢	العرب في مقدمة ابن خلدون	« محمد رجب البيومي
١٣٧	الاستقامة	« أحمد الشرباصي
١٤١	الشجاعة عماد الفضائل	« علي العماري
١٤٤	النثر والشعر في تقدير الاسلام	« عباس طه
١٥٠	ذكرى الهجرة النبوية	« محمد عبد التواب
١٥٧	محكم ابن سيده	« عبد العزيز الاسلامبولي
١٦١	لغويات	« محمد علي النجار
١٦٤	خصائص الحروف الشرقية للكتابة العربية	« عيسوي أحمد عيسوي
١٦٥	يتيم الدين وتذله — ٣ —	« محمود النواوي
١٧٣	سابق الحبشة	« زكي الدين شعبان
١٧٩	بحوث في مصادر الشريعة النظرية — ٤ —	« عمر طلعت زهران
١٨٥	الألفاظ الأوربية في اللغة العربية	« محمد أبو المكارم
١٩٠	لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها	« محمد السيد ندا المدرس بكلية الشريعة
١٩٤	ثورة الاسلام على الفقر	« عوض عوض إبراهيم
١٩٨	نجوى إلى رجال الغد	« صابر علي رمضان الجوشي
٢٠٢	الأزهر الدين أولا	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٢٠٤	تعليقات : نجاوب الشرق	« محمد فتحي محمد عثمان
٢٠٦	الاستعمار يتآمر	المجلة
٢١٤	العالم الاسلامي	«
٢١٦	الأدب والعلوم	«
٢١٧	الكتب	«